Y O S I F   S H I R A W I

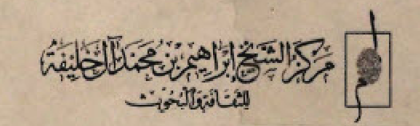
دراسات أدب
STUDIES

يوسف أحمد الشيراوي

أطلس المتنبّي

أسفاره من شعره وحياته






أطلس المتنبّي
أسفاره من شعره وحياته

أطلس المتنبّي : أسفاره من شعره وحياته / دراسات ـ أدب
يوسف أحمد الشيراوي / مؤلّف من البحرين
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨

مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث

ص. ب : ١٣٧٢٥ ، هاتف : ٠٠٩٧٣ـ٣٢٢٥٤٩
فاكس : ٠٠٩٧٣ـ٣٢٠٩٥٥ / المحرّق ، مملكة البحرين
eshraqaat@hotmail.com
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@nets.com.jo
الإشراف الفنّي :
®
لوحة الغلاف :
حسن مسعودي / العراق
الصفّ الضوئيّ :
المؤسّسة العربيّة ، عمّان ، الأردنّ
التنفيذ الطباعيّ :
سيكو للطباعة / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-108-8

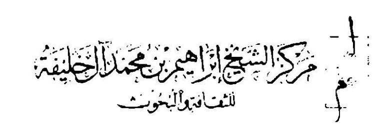
دراسات أدبية
STUDIES

يوسف أحمد الشيراوي

أطلس المتنبّي

أسفاره من شعره وحياته





يـقـولـون لـي مـا أنت فـي كـلّ بلـدة

وما تبتغي؟ ما أبتغي جلَّ أن يُسْمَى

تـغـرّبَ لا مـسـتـعظمـاً غـيـر نفـسـه

ولا قـابـلاً إلا لـخـالـقـه حُكْـمَـا

فهرست الخرائط

المقدمـة

هذا الكتـاب (أطلس المتنبي) هو في تقديري مساهمـة عظيمـة القيـمة في مجـال الدراسـات عن حـياة المتنبي وشـعره . ومؤلف الكتـاب «العـالم الأديب الأسـتـاذ يوسف أحـمـد الشـيـراوي» وكـان قـد تقلد الوزارة فـتـرة طويلة في دولة البحـرين ، ليس بعـيـداً عن عـالم المتنبي . فـهو محب للشاعر ، إلا أنه من بيت علم وأدب ، ووالد زوجته الفاضلة هو الأديب والشـاعر البحـريني الكبير المرحوم الأسـتـاذ إبراهيم العـريض . ولا يخـفـى أن الأسـتـاذ العـريض بالإضـافـة إلى أنه شاعر فحل ، وأنه ترجم رباعيات الخيام من أصلها الفارسي ، فإنه قدم للمكتبة العربية منذ ثلاثين عاماً كتابا قيّماً عن المتنبي هو كتابه «فن المتنبي بعد ألف عام» .

يذكر الأستاذ يوسف الشيراوي في بداية كتابه أن الأستاذ إبراهيم العريض أكد له أن المؤلفات عن المتنبي وشعره تزيد على ألفي كتاب ، ثم يقول :

«لذا فإن هذا الكتاب ليس فيه ما يضيف إلى ذلك السجل الهائل . . . لأنه أطلس جغرافي يتناول أشعار المتنبي حسب ما انعكس ذلك في شعره وما جاء في سيرته . .»

إنما هذا الأطلس هو بحق إضافة كبيرة لأنه خلاصة دراسة عميـقة لحياة الشاعر وتأمل في شعره . ويقول الأستاذ يوسف الشيراوي :

« لم أعـرف ولم أسـمع عن شـاعـر عـربي تنقل في حـيـاته كـمـا تنقل المتنبي . . . هل يعود هذا التنقل إلى نفسية الشاعر القلقة الطموحة؟ أم أنها تعكس ذلك العصر و القرن المضطرب بالفتن والأحداث التي أثّرت في نفسيته وطموحه وتصوره للتاريخ .»

هذا السؤال نفسه ، لم يزل يلح عليّ ، بوصفي واحدا من مئات الآلاف ، إن

لم أقل الملايين المحبين لشعر المتنبي والمهتمين بوقائع حياته الغامضة .

اسمعه يقول :

يقـــولـون لي مـــا أنت في كـل بلـدة
وما تبـتـغي؟ مـا أبتـغي جلّ أن يسـمى

ويقول :

وإنـي لنجمٌ تَهـتـدي بـي صُـحـبـتـي
إذا حـــال من دون الـنجـوم سـحـــاب
غَنـيٌّ عــن الأوطان لا يســـتـــفــزني
إلـــى بـلــد ســـافــــرت عنـه إيــابُ
وعن ذمـلان العِـيس أن سـامـحت به
وألا فــفـي أكـــوارهـــنَّ عــُقــــــابُ

ويقول :

عــلى قـلق كــــأنّ الـريح تــحـــتـي
أوجــهــهـــا جــنــوبــاً أو شَـــمـــالا

ويقول :

صـــحــبتُ في الفلوات الوحش منفـرداً
حـــتى تعـجب مـني الـقـــور والأكم

نعم ، إنني استمع إلى صوت المتنبي يجيش بهذه المعاني الهائلة ، ويخطر لي السؤال نفسه الذي خطر للأستاذ يوسف الشيراوي . هل هذه المعاني نابعة

من الموهبة الشعرية الفريدة للشاعر وحسب أم أنها أصداء لحياة قلقة بالفعل ، وعالم عربي مضطرب مقطع الأوصال يموج بالقلاقل والفتن؟

وقد وجدتُ أن هذا الكتاب الطريف يقربني جداً من إدراك أعمق لحياة المتنبي وعالمه الشعري . وذلك يرجع إلى الخرائط الجميلة الدقيقة التي ضمنها الأستاذ الشيراوي كتابه وربط الجغرافيا بها ارتباطاً وثيقاً بالشعر . وهو بذلك فتح آفاقاً رحبة في خيال القارئ المهتم بشعر المتنبي . أصبحت الخرائط بما فيها من الأمكنة التي زارها الشاعر أو عاش فيها ، كأنها امتداد للقصائد .

وربما أدركت لأول مرة ، رغم كثرة نظري في ديوان المتنبي ، كم هي شاسعة ومترامية تلك المسافات التي قطعها ذلك الإنسان العجيب في حياته القصيرة .

لا بد أنه قطع آلاف الأميال رائحا غادياً ، وكأنه حقاً كما وصف نفسه :

على قلق كأن الريح تحتي
أوجهها جنوباً أو شمالا

وكأنه حقاً كما قال :

غنيّ عن الأوطان لا يستفزني
إلى بلد سافرت عنه إيابُ

حين تنظر الخرائط ، وتستعيد الشعر في ذهنك تجد أن أبياتا مثل التي ذكرتها تأخذ أبعاداً أوسع ، ومعاني أعمق .

وعلى سبيل المثال ، فإن رحلة المتنبي التي خرج بها هارباً من مصر ، أخذت قرابة أربعة أشهر ، كما يذكر الأستاذ يوسف الشيراوي . والإنسان لا يتصور طول الزمن وبعد المسافات ألا حين ينظر إلى الخريطة .

أول مكان يذكره الشاعر في القصيدة هو (نخل) فكأنها على مرمى حجر

من الفسطاط . ورغم أن المرء يعرف أنها في سيناء لكنه لا يمكن أن يتصور كم هي بعيدة عن الفسطاط حتى ينظر إلى الخريطة .

وبعد (نخل) يقفز الشاعر إلى (النقاب - النقب) :

وأمـــست تخـــيـــرنا بالنقــا

بِ وادي الميـــاه ووادي القـــرى

ووادي المياه في الحجاز ، كما توضح الخريطة ، على مسافة بعيدة جنوباً .

وهكذا حتى يصل الشاعر إلى (أعكش) ثم (الرهيمه) ويكون قد دخل العراق واقترب جداً من الكوفة ، وهي نهاية رحلته :

فـــيـــالك ليـــلاً على أعـكُش

أحمَّ البـــلاد خـــفيّ الصُّـــوَى

وردنا الرُّهيـــمـــةَ في جَـــوزهٍ

وباقـــيـــهِ أكـــثـــرُ مما مَـضَى

ولم أكن أدرك قبل أن أنظر إلى الخريطة ، أن (الرهيمه) بهذا القرب من الكوفة . وأنا أفهم الآن لماذا حين وصل (الرهيمه) قال :

وردنا الرهيـــمـــة في جـــوزه

وباقـــيـــه أكـــثـــر مما مـــضى

فلمـــا أنخنا ركـــزنا الرمـــا

ح بـــين مـكـارمـنـا والـــعُـــلا

وبتنا نُـقـــبّـل أســـيـــافنا

ونمسـحـــهـــا من دمـــاء العـــدا

كان قد وصل إلى نهاية الرحلة ، لذلك لم يذكر مكاناً آخر . ولعله لم يدخل الكوفة ليلاً بل بات حيث هو ودخل الكوفة في الصباح .

هذا وقد بذل الأستاذ الشيراوي جهداً عظيماً للتثبت من الأماكن المذكورة في الشعر ، وأفرد في كتابه فصلاً مفيداً ربط فيه بين الأماكن وأبيات الشعر التي ذكرت فيها . وحتى بعض الأماكن التي درست مثل (أرجان) التي كانت مقر ابن العميد ، وجد الكاتب أنها تقع على بعد عشرة كيلومترات من مدينة (بهبهان) في إيران .

يقول الكاتب إن (دير العاقول) حيث لقي الشاعر مصرعه المأساوي قد اختفت اليوم . يحس المرء بالحسرة حين ينظر إلى الخريطة فهي قريبة جداً من بغداد ، وقد كاد الشاعر يصل إلى نهاية رحلته سالماً بعد أن خرج من عضد الدولة البويهي في شيراز مثقلاً بالمال والهدايا .

كان المتنبي قد وجد حفاوة عظيمة من عضد الدولة ، وقبل خروجه من عنده أنشده آخر قصيدة له ، وفيها يقول :

أروح وقد ختمت على فؤادي
بحبك أن يحل به سواكا
وقد حمّلتني شكراً طويلا
ثقيلا لا أطيق به حراكا

وفي القصيدة بيتٌ وجد الشّرَاح بعد مقتل المتنبي كأنه كان يرثى فيه نفسه :

وأيّا شئت يا طُرُقى فكُوني
أذاةً أو نجاةً أو هلاكا

هذا ولن أنهي هذه الكلمة القصيرة ، قبل أن أنوه بفصل سوف يجد فيه القارئ إن شاء الله متعة عظيمة . ذلكم هو الفصل في آخر الكتاب عن النجوم والكواكب التي ذكرها المتنبي في شعره . وهذا في حد ذاته موضوع لا أعرف أن كاتبا آخر قد تعرض إليه من قبل .

وبالإضافة إلى هذا كله ، سوف يجد القارئ أن الأستاذ يوسف الشيراوي قد أشار إلى القضايا الكبيرة في حياة الشاعر ، مولده ونسبه وهل هو شريف علوي أم لا وزواجه ونسله . هو يفعل هذا بلطف وتواضع جم مردداً طول الوقت إن الكتاب ليس أكثر من (أطلس) . إنما هو في الواقع إضافة حقيقية تسعد عشاق شعر المتنبي وتغري الآخرين بالدخول في العالم الزاخر الحب لهذا الشاعر العظيم .

الطيب صالح

توطئة

أكد لي الأستاذ إبراهيم العريض بأن عدد من تناول موضوع المتنبي ، شرحاً ونقداً وحياة وفناً ، ينوف على ٢٠٠٠ كاتب ومؤلف من ابن العديم وابن جني والواحدي إلى كتابه المعنون «فن المتنبي بعد ألف عام» الذي أصدره قبل ٣٠ عاماً . ولذا فإن هذا الكتاب ليس فيه ما يضيف إلى ذلك السجل الهائل . ولكنه فريد من نوعه لأنه «أطلس جغرافي» يتناول أسفار المتنبي . حسبما انعكس ذلك في شعره وما جاء في سيرته ، وذلك من أول سفرة له خارج الكوفة ٣١٥هـ حتى مقتله قرب بغداد عام ٣٥٤هـ .

لم أعرف ولم أسمع عن شاعر عربي ، تنقل في حياته كما تنقل المتنبي . يقال إن إمرأ القيس ، لما علم بمقتل والده ، تنقل بين القبائل يدعوهم إلى أخذ ثأر والده وأنه ذهب حتى إلى ملك الروم وراء ذلك الهدف . ولا يوجد إثبات تاريخي حسب علمي عن ذلك التنقل . ولا يوجد شاعر عربي سواه سجل مثله تحركه من الفيافي والقفار ، إلى حواضر العالم العربي الإسلامي في عصره ، مرورا بالعديد من العواصم والولايات ، فانتشر الشعراء في العواصم والولايات متنقلين مع أحداث السياسة ومراكز القوى ، بعد أن كانت تجمعهم دار الخلافة في دمشق أو بغداد أو قرطبة . هل يعود هذا التنقل إلى نفسية الشاعر القلقة الطموحة؟ أم أنها تعكس ذلك العصر والقرن المضطرب بالفتن والأحداث التي أثرت في نفسيته وطموحه وتصوره للتاريخ .

هذا الموضوع أكبر ولا شك من حدود هذا الكتاب . وكم كان بودي أن يقوم مؤرخ عربي بدراسة أحداث ذلك القرن (الرابع الهجري) ويلقى عليه نظرة علمية أمينة ليسجل ماذا كان يجول في نفوس المسلمين في ذلك الوقت من خلافات عنصرية ومذهبية وإيدلوجية وفلسفية تركت ولا شك بصماتها وآثارها على

الفكر الإسلامي حتى عصرنا هذا . لا شك بأنه سوف يجد من شعر المتنبي ما يعينه على الفهم . إن هذا «الأطلس» سوف يوضح له صورة تلك الصراعات ومكانها وزمانها .

وجدت صعوبة في إعداد هذا الأطلس . لقد اعتنى المتنبي بديوانه وكتبه وقرأه وحذف منه وأرّخه بدقة . وأستثني من ذلك الفترة المضطربة من حياته الأولى ، منذ أن ترك بغداد في العام ٣١٩هـ حتى استقر به المقام في طبرية في العام ٣٢٨هـ . اتسمت حياته في تلك الفترة وتنقلاته وسجنه وإطلاق سراحه بالغموض والتعتيم . ولا شك أن للخلافات المذهبية والصراعات الفكرية الأثر الأكبر في هذا الغموض . أما حياته من العام ٣٢٨هـ في طبرية حتى مقتله شرقي جنوب بغداد في العام ٣٥٤هـ ، فإنها تكاد تكون واضحة .

أما الصعوبة الثانية فقد نشأت من الجغرافية : المدن والحواضر والعواصم الإسلامية العربية ، من شيراز حتى الفسطاط ، ومن حلب حتى الكوفة وطبرية معروفة سهلة ، ولكنه عدّد مواقع كثيرة عجزت عن التعرف عليها بالرغم من اعتمادي على «لسان العرب» و «معجم البلدان» . يحدد ذلك السفر الجليل في بعض الأحيان . . . بالأسلوب العلمي الدقيق بأن المحل الفلاني يبعد كذا فرسخ عن الفرات ، وعن الموقع الفلاني كذا فرسخ ، وأن الموقع الفلاني طالعه (العيوق) . . . نعم بكل دقة . . . ولكنه يمر بسلام على كثير من المواقع الأخرى دون أن يسجل شيئا . إما أنه «قريب من الكوفة» مثلاً أو «نبع ماء» أو بكل بساطة «محل معروف» حاولت ، على سبيل المثال لا الحصر ، أن أحدد موقع أرّجان «بتشديد الراء» وخففها المتنبي إلى «أرجان» فلم أعثر عليها حتى على الخارطة الرسمية لإيران . وقد سررت كثيرا عندما بين لي أحد كبار الموظفين الإيرانيين الذي زار البحرين مؤخراً بأن «أرجان» قد اندثرت وأصبحت مدينة أثرية ينقب عنها علماء الآثار . والموقع يبعد ٥١ كيلومتر إلى الشمال الغربي من

مدينة بهبهان ، غربي شيراز .

كنت قد أضفت إلى الأطلس باقة من عيون شعر المتنبي في كل مرحلة من مراحل حياته . ولكن جلسة هادئة مع عملاقين من عمالقة الأدب والشعر ، الأستاذ الطيب صالح والدكتور غازي القصيبي ، أقنعتني بحذف ذلك الاختيار . إضافة إلى أنهما قدما لي باباً واسعاً من خبرتهما في موضوعية البحث والتأليف . قالا بأن ما أعمله هو أطلس ليس إلا . ربما لم يسبقني إلى ذلك أحد ، أما اختيار أبيات شعر من المتنبي التي أكسبته المجد والخلود فقد سبقني إليها ما ينوف على ألف أديب خلال ألف عام ابتداءً من الواحدي والعكبري والمعري إلى مؤلفي القرن الماضي . لقد أقنعاني بأن اختار من شعره ما يرتبط إما بالأطلس كالرحلات والمدن والطرق التي مر بها أو سلكها ، أو ماله علاقة بتجربتي الشخصية فقط . لقد خرجت من ذلك اللقاء بقدر عظيم من المعرفة والحكمة ، وبقدر أعظم من التواضع والراحة النفسية .

وأخيراً . . . كنت أعتقد أن هذا الكتاب ما هو إلا دراسة ميكانيكية عن المتنبي ولكن لسبب لا أدركه ، بدأت أشعر أنني قسم من تلك الحياة القلقة المضطربة فتولدت فيّ مشاعر لم آلفها من قبل ، شدتني إلى هذه الشخصية الفذة أكثر وأكثر . وآمل أن يتجاوز القارئ ميكانيكية الخارطة ، ويرى في خطوطها حياة عارمة أغنت الفكر والأدب والوجدان العربي .

شجعني الدكتور غازي على كتابة هذا الكتات وهداني الأستاذ إبراهيم العريض إلى بعض النواحي التاريخية في عصر المتنبي وتكرم أديب العرب الأستاذ الطيب صالح بتقديمه للقارئ .

يوسف الشيراوي

البحرين ٢٠٠٣م

جغرافية المنطقة

غطّى المتنبي القسم الجنوبي من إيران إلى العراق وديار الشام ، وممتداً منها إلى ما تعرف اليوم بآسيا الصغرى ، وهي القسم الشرقي من تركيا ، وكانت تعرف بديار بكر . كما اشتملت حياته وتنقلاته مصر والقسم الشمالي من جزيرة العرب . ولم تتأثر هذه المنطقة بأية تغيرات جغرافية أو طبيعية تذكر . اندثرت بعض المدن مثل (واسط) و (أرّجان) وتبدلت أسماء عدد كبير من المواقع ، أما المدن والعواصم الأساسيّة باستثناء (القاهرة) التي عرفت بالفسطاط ، ودومة الجندل التي تحولت إلى «الجوف» فقد حافظت على العموم بأسمائها التاريخيّة . تحدث المتنبي عن «ضُمير» فوجدت أن ضُمير ما زالت مدينة كبيرة تقع شماليّ شرقيّ دمشق . يقول عنها المتنبي : «لئن تركن ضميراً عن ميامنا» .

أما الأنهار والتضاريس الطبيعيّة والبحار والجزر فإنها بطبيعة الحال بقيت على تضاريسها وأسمائها ، ولكن هناك أربع مناطق تحتاج إلى مراجعة نظراً لعلاقتها بحياة المتنبي وسيرته وشعره .

١ . بادية السماوة

بادية السماوة هي ما يعرف اليوم بالجزء الشبه الصحراوي الممتد من الكوفة إلى الحيرة على شاطئ الفرات وتمتّد عدة أميال في الصحراء العربية . بادية صغيرة مجاورة للفرات قيل إن المتنبي قد أرسل لها في صغره لتستقيم لغته . والواقع أن بادية السماوة كانت أيام المتنبي أوسع من ذلك بكثير ، فهي تشتمل على قسم كبير من شاطئ الفرات وتمتد غرباً لتشمل بادية الشام حتى تدمر شمالاً ثم تنحدر جنوباً حتى تتجاوز دومة الجندل (الجوف اليوم) أي أنها تشمل

جل صحراء المملكة العربية السعودية الشمالية (صحراء النفود) . بقي أن يعرف القارئ أن المتنبي الذي ألف حياة البداوة قد عاد إلى هذه البادية الشاسعة عدة مرّات وأحب الإقامة فيها وأحس بالانتماء العربي عند أهلها .

ويمكن تلخيص مراحل حياة المتنبي في بادية السماوة على النحو التالي :

١ . عاش فيها أيام الصبى وأحبّها ووجد فيها الأصالة والانتماء بأصوله العربية . «قارن ذلك بالهزة الحضارية التي عاناها في بغداد عندما كانت في عز النفوذ الفارسي التركي وضعف العنصر العربي» .

٢ . عاش فيها في الفترة التي ترك فيها اللاذقيّة عام ٣٢٠هـ ، شاباً ثائراً على الوضع العربي في الوقت الذي قوي فيه نفوذ الأخشيد في حمص وجنوب سوريا . فأسر واعتقل نتيجة لتلك الثورة .

٣ . رجع إليها بعد أن ضاقت به الدنيا ما بين عام ٣٢٨هـ - ٣٣٥هـ وأصبح يتعيّش بالمدح وبذمّ الزمان . وهي الفترة التي ماتت فيها جدّته فرجع إلى الكوفة ، ولكنه مُنع من الدخول إليها بسبب معارضة العلويين . فوصل الشام ثم عاد إلى فلسطين ، إلى أن وجد الملاذ والملجأ في تلك البادية .

٤ . بعد الفترة الحلبية والمصرية(٣٣٦هـ - ٣٤٥هـ) و(٣٤٥هـ - ٣٥٠هـ) بين سيف الدولة وكافور ، هرب يوم النحر من الفسطاط عام ٣٥٠هـ (سوف نذكر ذلك بالتفصيل) لأنه بعد أن ضلل كافور في تتبع آثاره . بقي عدة أشهر في تلك الصحراء قبل أن يعود إلى الكوفة .

لم تتغير البادية ولكن الاستعمال الأعم لها تقلص إلى بادية السماوة الصغرى التي نعرفها اليوم .

٢ . ســواد الكــوفـة

يستخدم العرب الأسود كناية عن اللون الأخضر في بعض المواقع . وإذا قدِم العربي من الصحراء إلى نهر الفرات ابتداءً من البصرة حتى نهاية ذلك النهر ، فإن أول ما يشاهد في الأفق هو اللون الأسود . وهو بدء المنطقة المزروعة ؛ فقالت العرب إن فلاناً دخل في سواد البصرة وسواد الكوفة وسواد بغداد . فما هي علاقة ذلك بالمتنبي؟

علاقة ذلك أن ضفاف نهر الفرات شمال الكوفة حتى منطقة الأهوار ، كانت منطقة عامرة بالزراعة والسكان والاتصال المدني والحضاري ، تكون وحدة مدنية عامرة ولكنها تفتتت بعد التدمير المغولي إلى قرى ومدن صغيرة على شاطئ الفرات تكاد تعيش على الفتات والكفاف من العيش ، ولم يبق للبحيرات المتعددة آنذاك أي وجود اليوم .

ينطبق ذلك على مدينة بغداد . فسواد بغداد هو منطقة حضارية ممتدة على جهتين من نهر الدجلة وممتدة على امتداد نهر الدجلة (شمالاً / جنوباً) وتضم المنطقة التي قتل فيها المتنبي وهي اليوم منطقة تكاد تكون صحراوية بعد الضفتين .

٣ . تــركـيا (العـربيـة)

أعني بهذا التعبير القسم الواقع في تركيا الحديثة ويمتد من مصب سيحان وجيحان ممتداً شمالاً إلى جبال الأناضول (مدينة قيصرية) ثم شرقاً إلى حدود أرمينيا ومنابع نهر الفرات . ويشمل منطقة ديار بكر بصورة عامة . تغيرت أسماء المدن والأنهار والممرات الجبلية . إلى أسماء تركية ورجعت على معجم البلدان محاولاً تحديد المواقع فعثرت على بعضها بصعوبة . على سبيل المثال هناك مدينة تسمى (مراس) اليوم . كانت تسمى أيام الدولة الحمدانية (مرعش) .

وحافظت (ملاطيا) و (ديار بكر) على الاسم نفسه واللفظ ولعل (سلامبيو) هي (سمندو) القريبة من كيسري (قيصرية الحديثة) . وفي رواية أخرى أنها بلغراد عاصمة يوغسلافيا .

٤ . الجزيرة العربية الشمالية

يمكن النظر إلى وصف المتنبّي لهروبه من مصر إلى أن دخل الكوفة على أنها أسطورة . ولقد وجدت صعوبة كبيرة في تحديد المواقع التي ذكرها وتوقف عندها . بعضها واحات ، والبعض الآخر مفازات «كالبسيطة» وبعضها نبع ماء بعينه ، مثل «تربان» . قام الجغرافي (موسيل) Musil برحلة استكشافية في صحراء النفود الكبرى ، من دمشق إلى تبوك والجوف وصحراء السماوة ما بين عام ١٩٠٨م - ١٩١٥م وألّف كتاباً طبعه عام ١٩٢٧م وساعدتني ابنتي في استعارة نسخة وحيدة منه موجودة في مكتبة جامعة (ساوس) في لندن . حيث ذكر موسيل في كتابه هذا رحلة المتنبي في الأماكن التي مر بها . ولكن المتنبيّ ، بعد أن تجاوز الصوير ، لم يذكر باقي الأسماء حتى دخل الكوفة . «زودني صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز بالكتب والمراجع التي تذكر أماكن المملكة» . وقد تأثرت عندما علمت أنه على الرغم من مشاغله ومسؤولياته ، قام شخصياً بالاتصال بعلماء المملكة لتحديد موقع جبل لم أعرف موقعه . كما بعث لي معالي الأستاذ خالد القصيبي بعدة خرائط حديثة للمملكة العربية السعودية الشمالية ساعدتني على التمييز بين السهول (المفازات) والهضاب والجبال .

جل هذه الأماكن ، بعد أن ترك الأردن ، باستثناء (تربان) موجودة في الجزيرة العربية . وحبذا لو اهتمت إحدى جامعات المملكة السعودية بترتيب رحلة صحراوية بمتابعة طريق المتنبي من الحدود الأردنية الجنوبية حتى حدود العراق وتحديد المواقع والواحات والأماكن التي زارها وخلّدها ذلك الشاعر .

خـارطـة الـعـالـم الإسـلامـي

عـالـم المتنـبـي ٣٠٣هـ - ٣٥٤هـ

١- الروم

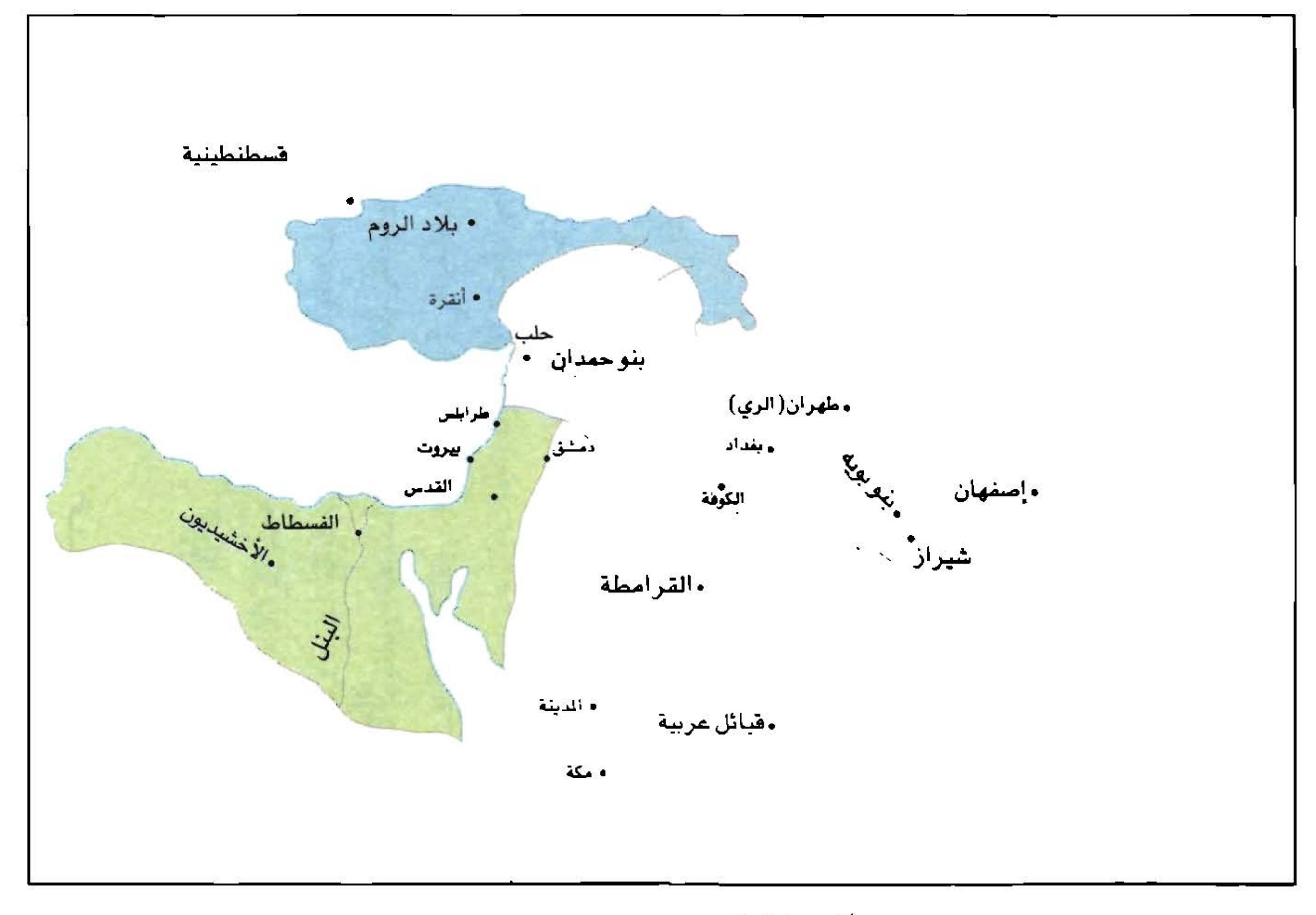
٢- بنو حمدان

٣- بنو بويه

٤- الأخشيد

٥- القرامطة والقبائل

العالم الاسلامي



عالم المتنبي 303 - 354

حياة المتنبي في سطور

التاريخ الهجري	المرحلة	التاريخ الميلادي
٣٠٣	مولده في الكوفة	٩١٥
٣١٥	صحراء السماوة	٩٢٧
٣١٧	بغداد	٩٢٩
٣١٩	منبج - اللاذقية	٩٣١
٣١٩	لبنان - دمشق - نحلة - اللاذقية	٩٣١
٣٢٠	اللاذقية - البادية - الثورة - السجن	٩٣٢
٣٢٣	إطلاق سراحه - حمص - اللاذقية - الكوفة	٩٣٥
٣٢٦	اللاذقية - الرملة - اللاذقية - إنطاكية - حلب - اللاذقية	٩٣٧
٣٢٨	طبرية - بدر بن عمار	٩٣٩
٣٢٩	بغداد (وفاة جدته)	٩٤٠
٣٣٠	طبرية - بدر بن عمار	٩٤١
٣٣٢	جرش - دمشق - الصحراء - دمشق - طرابلس - دمشق - اللاذقية - إنطاكيا - اللاذقية	٩٤٣
٣٣٦	إنطاكيا - أبو العشائر	٩٤٧
٣٣٧	حلب - سيف الدولة	٩٤٨
٣٤٦	دمشق - الفسطاط - كافور	٩٥٧
٣٥٠	قطع الصحراء - الكوفة	٩٦١
٣٥٢	بغداد	٩٦٣
٣٥٣	أرجان - ابن العميد	٩٦٤
٣٥٤	شيراز - عضد الدولة	٩٦٥
٣٥٤	واسط - دير العاقول - مقتله	٩٦٥

مـرحـلة الصـبا

٣٠٣هـ - ٣١٩هـ

تغطي هذه المرحلة فترة الصبا . ولد المتنبي في العام ٣٠٣هـ في الكوفة ، ودرس في مـدرسـة لأشـراف العلويين . أرسل إلى صـحـراء السـمـاوة بين نجد والعراق والشام لتستقيم لغته خلال الفترة بين ٣١٥هـ و ٣١٧هـ . زار بغداد ، حيث ترك سوء الحكم وتسلّط الأعاجم وتفكك العنصر العربي الأثر الأكبر في نفسيته وحكمه على الأمور .

كانت الكوفة في أوائل ذلك القرن مركز ثقافة نشطة ، فاستفاد المتنبي من العلماء والأدباء الذين تحدث إليهم . وعرف عنه ملازمة دكاكين الورّاقين وكانت هذه الدكاكين بمثابة قاعات مطالعة تستقطب الأدباء والمثقفين ولم يملك المتنبي المال لشراء تلك المخطوطات ، ولكنه كان يملك الذاكرة القوية القادرة على الحفظ والاستظهار . ويبدو أن فترة الصبا لشاب علوي متوسط الحال كانت فترة سعادة وقد انعكست كثيراً في أشعاره فيما بعد ، فنراه يقول :

دَرَّ دَرُّ الـصـبـا أأيـام تَـجْـر
يـر ذيـولـي بـدار أثْـلَـةَ عُـودِي

لا نعـرف بالدقـة الأسـبـاب التي أدت إلى ذهابه إلى الصـحـراء اللهم إلا الشعور السائد بأن حياة الحضر تنزع من اللغة العربية فصاحتها وأنه لابد من العـودة إلى الصحراء والفطرة لإتقان تلك اللغة .

قيل إنه ابن سقاء «عبدالله السقاء» أو ابن «عيدان السقاء» . ومن غير المألوف في تلك الفترة أن يرسل ابن السقاء إلى البادية لصقل لغته وتهذيبها

وتقويمها ، ولا أن يدخل مدرسة لأشراف العلويين .

تأثر المتنبي في صباه بالصراع الفكري الذي كان دائراً في ذلك القرن المضطرب ، وبالخلاف السياسي الديني بين الطوائف الإسلامية وقد انعكس ذلك بصورة عامة في شعر الصبا ، إلى درجة سهلت على أعدائه النيل منه ويعكس البيتان ذلك :

نور تظاهر فيك لا هُوتيّةً
فتكاد تعلم علم ما لن يعلما
أنا مبصر وأظن أني نائم
من كان يحلم بالإله فَأحْلُمَا

خارطة الصبا

٣١٠هـ - ٣١٧هـ

(بغداد وبادية السماوة)

بادية السماوة تقلصت في العصر الحديث الى حدود الفرات

١- بغداد

٢- الكوفة

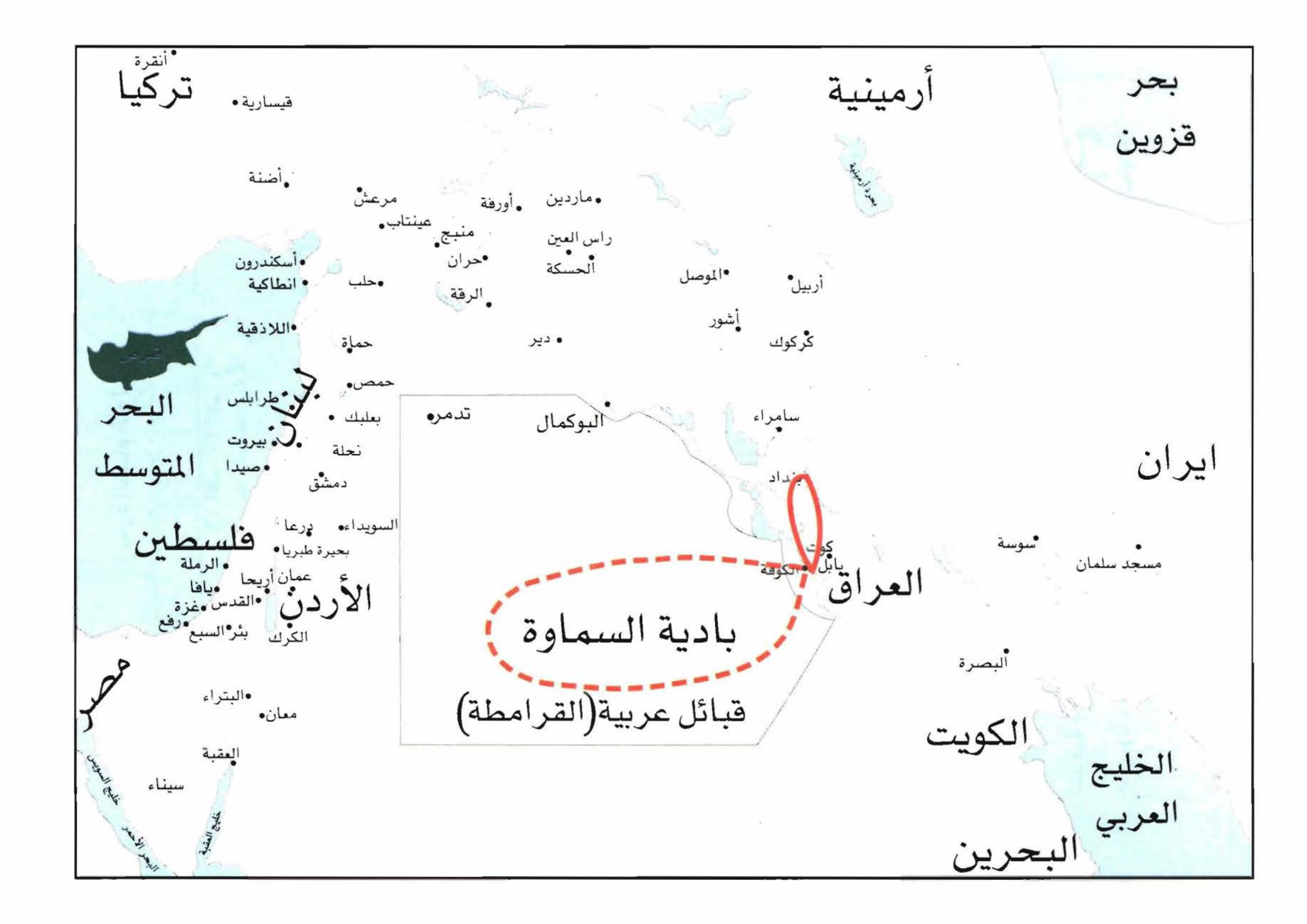
٣- بابل

٤- بادية السماوة

٥- قبائل عربية (القرامطة)

٦- البوكمال

٧- تدمر



أنقرة
تركيا
قيسارية
أرمينية
بحر
قزوين
أضنة
مرعش
أورفة
ماردين
عينتاب
منبج
راس العين
حران
الحسكة
أسكندرون
انطاكية
حلب
الرقة
الموصل
أربيل
أشور
اللاذقية
حماة
دير
كركوك
حمص
لبنان
البحر
طرابلس
بعلبك
تدمر
البوكمال
سامراء
بيروت
نحلة
المتوسط
صيدا
دمشق
ايران
درعا
السويداء
فلسطين
بحيرة طبريا
سوسة
الرملة
عمان
أريحا
بابل
الكوفة
كوت
مسجد سلمان
يافا
القدس
غزة
الأردن
العراق
رفع
بئر السبع
الكرك
بادية السماوة
البصرة
مصر
البتراء
معان
قبائل عربية(القرامطة)
الكويت
العقبة
الخليج
سيناء
العربي
البحرين

زيارة الشام الأولى

٣١٩هـ - ٣٢٠هـ

قبل أن نتحدث عن زيارة المتنبي إلى ديار الشام (٣١٩هـ - ٣٢٣هـ) ونرسم خارطة لتحركاته لا بّد من وقفة سريعة على وضع الشام وخارطته السياسية . على الرغم من ضعف الدولة العباسية ، كان من المتعارف والمتفق عليه أن الوالي ، أي والٍ ، يحتاج إلى أن يكسب الشرعية ، وأن يحصل على مباركة الخليفة لقاء خراج سنوي يدفعه للخليفة . فالمرحلة التي نتحدث عنها كانت هناك عائلة حمدانية من جذور يمانية تحكم الجزيرة ومنطقة الموصل والأناضول العربي . واستولى محمد بن طغج على فلسطين ثم أضيفت إليه حلب ، ثم مد محمد بن طغج ولايته على الشام قبل أن يعزل عنها . وكان في حلب قبل ذلك ولاة يعينهم الخليفة ويرسلون من بغداد .

وفي الفترة التي نتحدث عنها وهي حياة المتنبي من عام ٣٢٠هـ حتى وفاته . استقرّ بنو بويه في نصف إيران إلى بغداد ، وحكم بنو حمدان الجزيرة وحلب وتركيا العربية حتى حمص ، وسيطر بنو تنوخ على اللاذقية وجبال لبنان ، ومد بنو طغج والأخشيد ثم كافور على مصر وفلسطين والشام جنوب حمص .

أمراء الشام

ترك المتنبي الكوفة عام ٣١٩هـ قاصداً بغداد تابعاً طريق القوافل على الضفة الشرقية من نهر الفرات حتى وصل رأس العين وانتهى إلى منبج . وأمراء منبج جنوبيون ، وأهلها من القبائل القحطانية الجنوبية . فمدحهم وكان ذلك بداية

تنقله في ديار الشام . فمدح أحد أمراء منبج وهم من القبائل اليمنية قائلا :

قَـيْلٌ بمنبجَ مـثـواه ونـائلُـه

في الأُفق يسـأل عـمّن غـيـرَه سَـأَلاَ

والقيل عند أهل اليمن هو الرئيس الذي يلي الملك الأعلى .

لتسهيل الرحلة سوف نقسمها إلى عدة خرائط .

فبعد منبج زار حلب واللاذقية وأنطاكية ثم واصل الرحلة إلى طبريّة قبل ولاية ياسر بن عمار ، ثم قفل راجعاً إلى اللاذقية عند بني تنوخ . زار حلب وأنطاكية ثم عاد إلى اللاذقية وسافر إلى طرطوس ثم تبع الساحل إلى سوق الغرب (عاصمة بني تنوخ) وعبر جبال لبنان إلى دمشق .

وعـقـابُ لُبنان وكـيف بِقَطْعِـهَـا

وهي الشـتـاء وصـيـفـهن شـتـاء

قفل بعد ذلك راجعاً إلى اللاذقية على الأرجح عام ٣٢٠هـ . أي أن رحلته من بغداد حتى استقر في اللاذقية استغرقت عامين على الأكثر . وبعض الدواوين تكتب «نخلة» وقد نبهني الأخ الدكتور كمال الصليبي ، ولفت النظر إليها الأستاذ إبراهيم العريض ، بأن اسمها الصحيح هو نحلة (بالحاء) وما زالت هذه القرية تحمل هذا الاسم .

خارطة زيارة الشام الأولى

١٣١٩هـ

الكوفة - اللاذقية

١-حلب

٢- اللاذقية

٣- أنطاكية

٤- طبريّة

٥- سوق الغرب

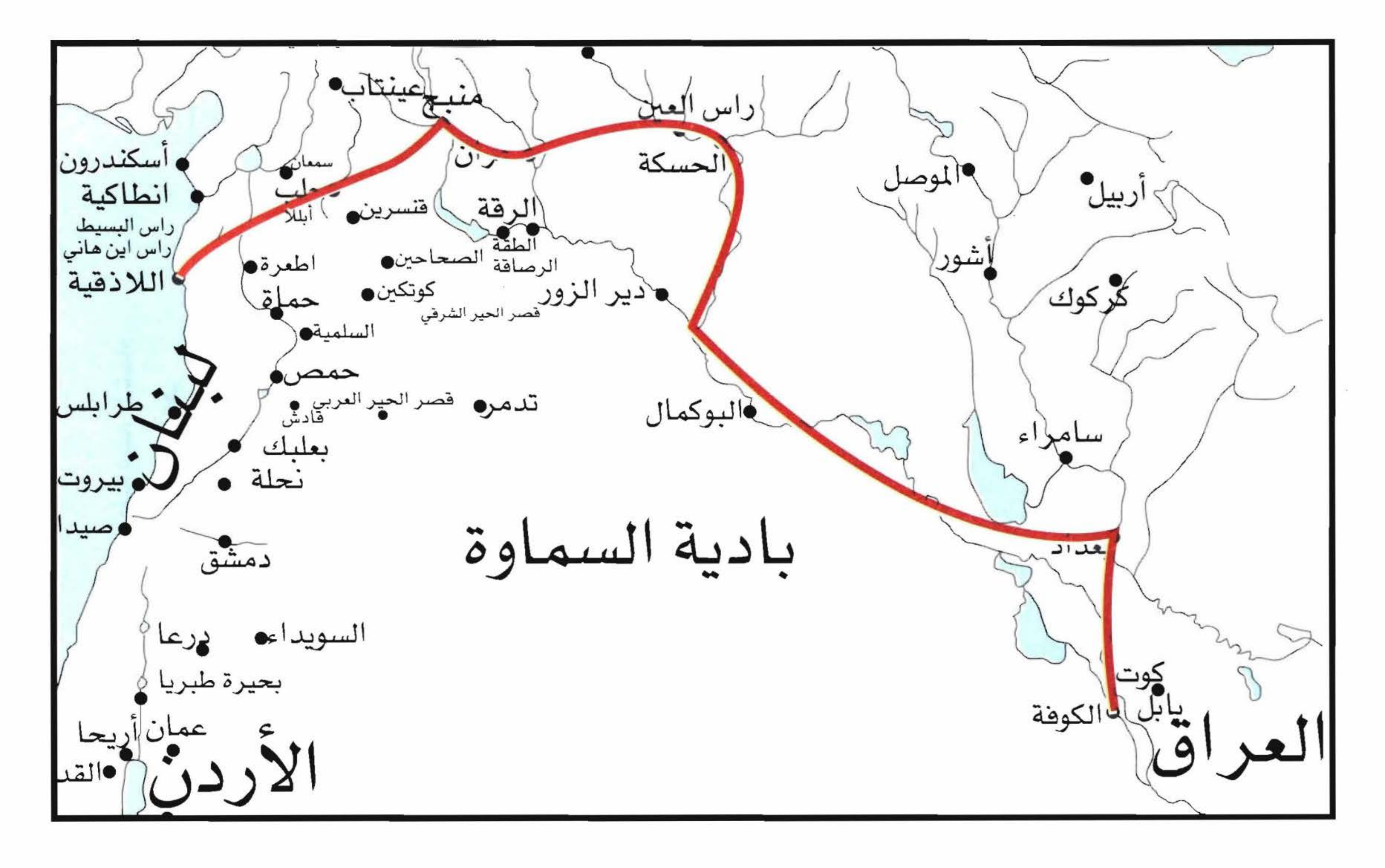
٦- طرطوس

٧- لبنان

٨- قرية نحلة

٩- بعلبك

١٠- بغداد



أسكندرون
انطاكية
راس البسيط
راس ابن هاني
اللاذقية
سمعان
أبللا
قنسرين
منبج
عينتاب
الرقة
الطقة
الرصافة
الصحاحين
اطعرة
كوتكين
قصر الحير الشرقي
حماة
السلمية
حمص
قصر الحير العربي
قادش
تدمر
طرابلس
بعلبك
نحلة
بيروت
صيدا
دمشق
لبنان
راس العين
الحسكة
دير الزور
البوكمال
الموصل
أربيل
أشور
كركوك
سامراء
بادية السماوة
السويداء
درعا
بحيرة طبريا
عمان
أريحا
الأردن
كوت
بابل
الكوفة
العراق

خارطة ديار الشام

٣١٩هـ - ٣٢٠هـ

١- حلب

٢- معرة النعمان

٣- حمص

٤- بعلبك

٥- نحلة

٦- دمشق

٧- سوق الغرب

٨- جرش

٩- طبرية

١٠- الرملة

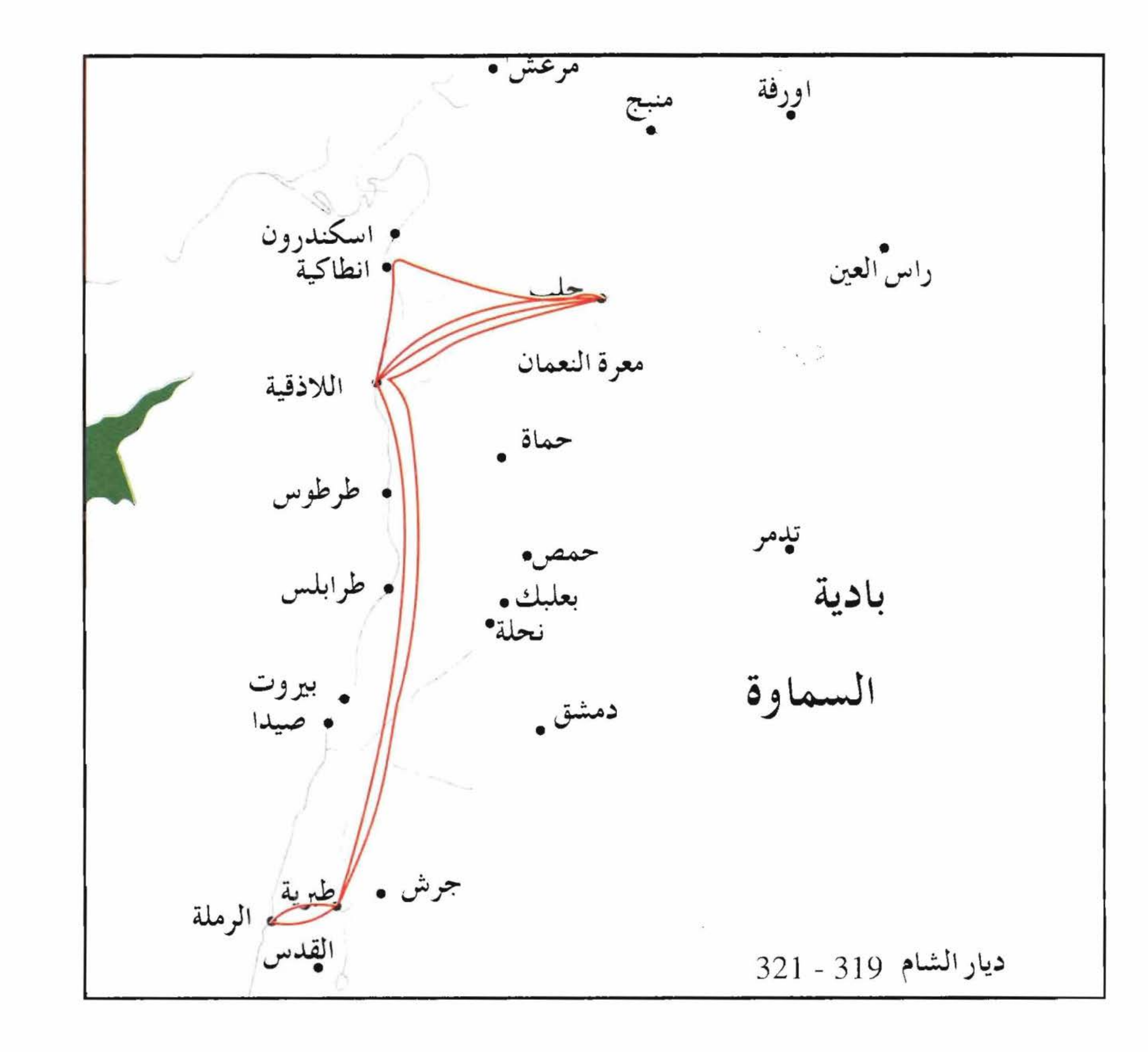
١١- طرطوس

١٢- طرابلس

١٣- صيدا

١٤- اللاذقية

١٥- أنطاكية



ديار الشام 319 - 321

خارطة رحلة الشام الأولى

٣١٩هـ - ٣٢٠هـ

١- حلب

٢- معرة النعمان

٣- حمص

٤- بعلبك

٥- نحلة

٦- دمشق

٧- سوق الغرب

٨- جرش

٩- طبرية

١٠- الرملة

١١- طرطوس

١٢- طرابلس

١٣- صيدا

١٤- اللاذقية

١٥- أنطاكية



رحلة الشام الأولى 319 - 320

خـارطـة منطـقـة الـثـورة
الثـورة والـسـجـن ٣٢٠هـ - ٣٢١هـ

١- قنسرين
٢- معرة النعمان
٣- حمص
٤- بعلبك
٥- نحلة
٦- كوتكين
٧- السلمية
٨- حماة
٩- طبرية
١٠- الرملة
١١- طرطوس
١٢- طرابلس
١٣- صيدا
١٤- اللاذقية
١٥- أنطاكية



الثورة والسجن 320 - 321

خـارطـة السـجـن والـعـودة

٣٢٣هـ

١- بابل

٢- الكوفة

٣- بغداد

٤- سامراء

٥- أشور

٦- الحسكة

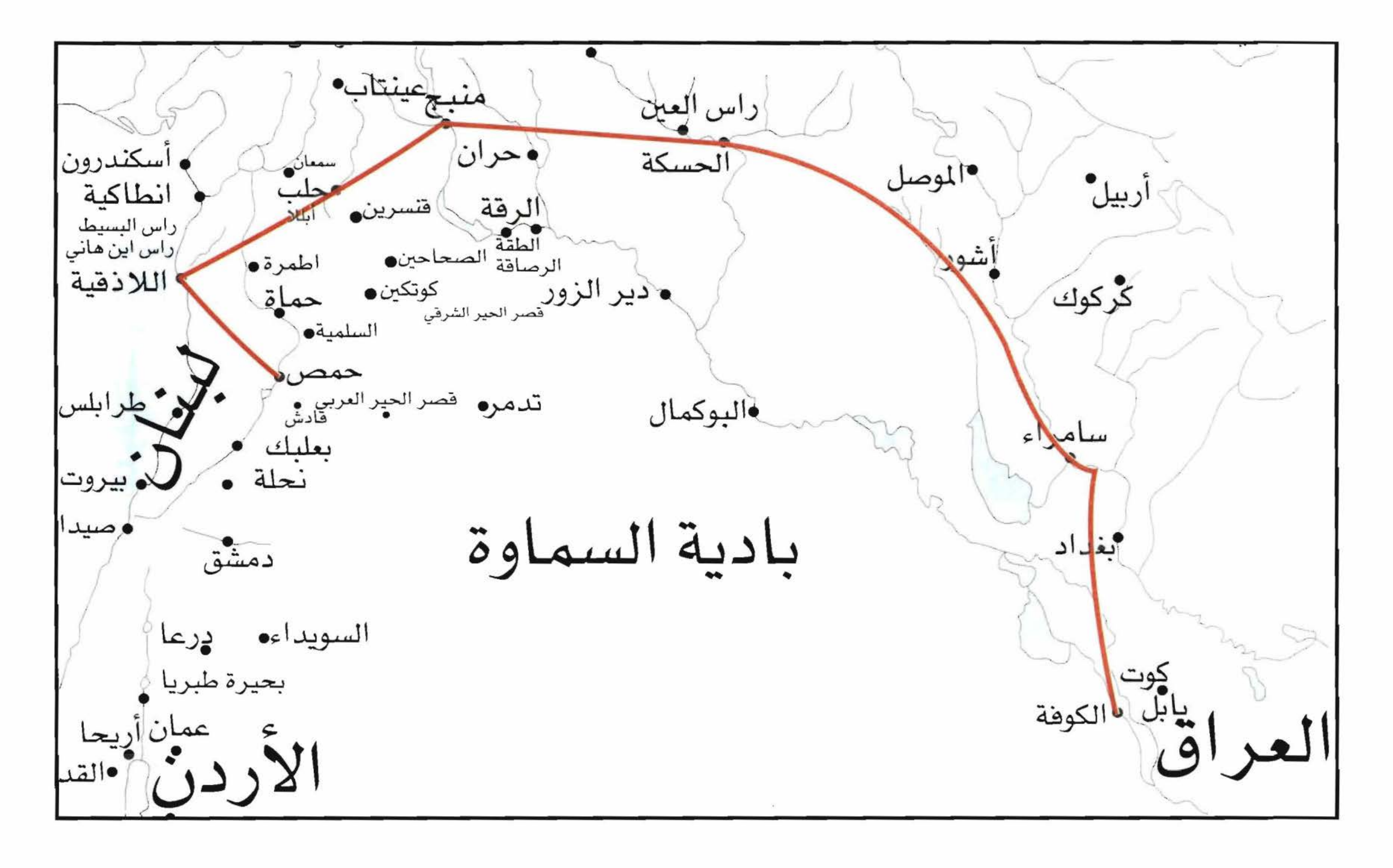
٧- منبج عينتاب

٨- حلب

٩- اللاذقية

١٠- حمص

١١- لبنان



عينتاب
منبج
راس العين
أسكندرون
سمعان
حران
الحسكة
الموصل
أربيل
انطاكية
حلب
قنسرين
الرقة
ابلا
راس البسيط
راس ابن هاني
الطقة
الرصافة
اطمرة
الصحاحين
أشور
اللاذقية
كوتكين
دير الزور
كركوك
حماة
قصر الحير الشرقي
السلمية
لبنان
حمص
طرابلس
قصر الحير العربي
قادش
تدمر
البوكمال
سامراء
بعلبك
بيروت
نحلة
صيدا
بغداد
دمشق
بادية السماوة
السويداء
درعا
بحيرة طبريا
كوت
بابل
الكوفة
عمان
أريحا
الأردن
العراق

الكوفـــة

٣٢٣هـ - ٣٢٦هـ

عاد المتنبي بعد هزة الثورة والسجن قافلاً إلى الكوفة ، ليبقى فيها إلى جانب جدته . والظاهر أنها إقامة هادئة سعيدة قضاها في مجالس العلم والأدب ومكاتب الورّاقين . كان سوق الورّاقين في تلك الأيام مزدهراً ، يؤمه رجال الفكر والأدب والشعراء ، فاستمع إليهم وصقل معرفته ولغته وشحذ ذهنه .

وهناك خبر ، لم يجزم أحد بصحته ، هو أن جدته كانت قد زوجته في تلك الفترة ، التي قضاها سعيداً حسبما يظهر من أشعاره آنذاك . وإذا صح أنه اصطحب ابنه محسد البالغ من العمر ٣٠ عاماً معه ، عندما قتل معه عام ٣٥٤هـ ، فإنه يكون قد رزق بذلك الولد في تلك الفترة . وسوف نتحدث عن ذلك فيما بعد . ولا يوجد في ديوان المتنبي أي ذكر لا عن ولده ولا عن زواجه ولا عن أبيه ، إلا إشارات غامضة عابرة هنا وهناك في شعره ، لا تؤكد حدثاً ، ولا تجزم بخبر وسوف نعود إلى ذلك .

رحلة الشام الثانية

٣٢٦هـ - ٣٣٦هـ

هذه الرحلة مضطربة بسبب حركة المتنبي السريعة وتنقله ، ولذا نسجلها في جدول لمساعدة تتبعه على الخريطة المرافقة .

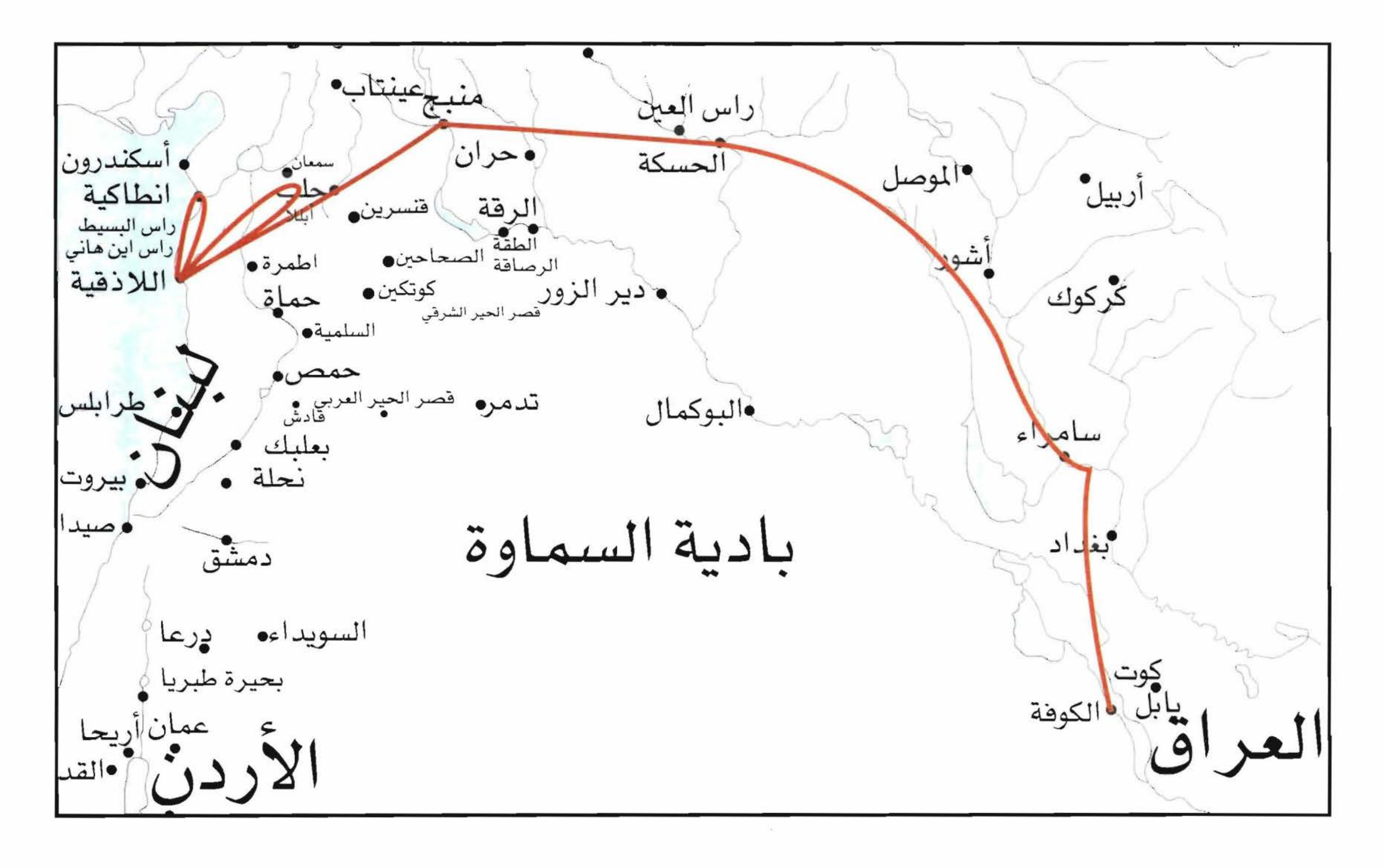
بغداد/اللاذقية	٣٢٦	اتبع طريق التجارة والبريد
اللاذقية	٣٢٧	بنو تنوخ
حلب	٣٢٧	زيارة قصيرة
طبرية/ الرملة	٣٢٧	زيارة فاشلة حسبما يظهر
اللاذقية	٣٢٧	زيارة إلى منطقة حلب
أنطاكية	٣٢٨	
طبريه	٣٢٨	لازم ابن عمار
بغداد	٣٢٩	زيارة جدته في بغداد
طبريه	٣٣٢	ترك ابن عمار في رحلة مضطربة
جرش ، دمشق البادية	٣٣٢ - ٣٣٥	عبر الأردن إلى جرش ثم دمشق وبادية السماوة
اللاذقية	٣٣٥	
أنطاكية	٣٣٥ - ٣٣٦	أبو العشائر
حلب	٣٣٧	حلب «سيف الدولة»

خارطة زيارة الشام الثانية

الكوفة - اللاذقية

٣٢٦هـ

١- الكوفة
٢- بغداد
٣- سامراء
٤- كركوك
٥- أشور
٦- الموصل
٧- الحسكة
٨- منبج عينتاب
٩- قنسرين
١٠- حلب
١١- أنطاكية
١٢- اللاذقية



منبج
عينتاب
راس العين
حران
الحسكة
أسكندرون
سمعان
حلب
أنطاكية
أبلا
قنسرين
الرقة
الموصل
أربيل
راس البسيط
راس ابن هاني
الطقة
الرصافة
الصحاحين
اطمرة
اللاذقية
كوتكين
حماة
دير الزور
قصر الحير الشرقي
أشور
كركوك
السلمية
حمص
لبنان
قصر الحير العربي
قادش
تدمر
طرابلس
البوكمال
بعلبك
سامراء
نحلة
بيروت
صيدا
دمشق
بادية السماوة
بغداد
السويداء
درعا
بحيرة طبريا
كوت
بابل
الكوفة
عمان
أريحا
الأردن
العراق

طبرية - ديار الشام

٣٢٨هـ - ٣٣٢هـ

بقي المتنبي قرب بدر بن عمار قرابة أربع سنوات ، وكانت سنوات مريحة أغنت المتنبي ولكنها لم تخل من الحساد والدسّاسين . قابلهم بالترفع والتكبر وحتى الهجاء . انتهت الفترة عندما ترك طبرية عام ٣٣٢ عابراً الأردن إلى مدينة جرش في(الأردن اليوم) ومن ثم إلى دمشق (الشام) والبادية . أقف هنا لننظر ونبحث تاريخ وفاة جدته وهناك خلاف .

شاكر يقول بأن المتنبي سمع بوفاة جدته عام ٣٣٤هـ بعد أن ترك بدر بن عمار . تقول الرواية بأنها كتبت له كتاباً تدعوه إلى الكوفة ولكنه لما وصل بغداد «منع» من دخول الكوفة . قالوا لها بأن المتنبي قد قتل فأقامت العزاء ، ثم أتاها كتاب المتنبي بأنه وصل إلى بغداد ويدعوها لزيارته . فماتت من الفرح ، لماذا منع من الكوفة؟ دعونا نسمعه :

أتاها كتابي بعد يأس وترحة
فماتت سروراً بي فمتّ بها غمّاً
ولم يسلها إلا المنايا وإنما
أشد من السقم الذي أذهب السقما

الأستاذ إبراهيم العريض يقول : (وبحثه أتى بعد شاكر بحوالي ٣٥ عاماً) بأن جدته دعته عام ٣٢٩هـ عندما كان بقرب بدر بن عمار . فاستأذنه بالذهاب إلى زيارتها .

نستمع لهذين البيتين يعلل فيهما الاستئذان العاجل :

لا تنكرنَّ رحـــيلي عنك في عـــجـل
فـــإنني لرحـــيـلي غـيـــرُ مـــخـتـــارِ
وربما فــارق الإنــســـان مـــهـــجـتـــه
يوم الوغى غـيـــر قــالٍ خــشــيـــة العــارِ

ولكنه عاد إلى طبرية بعد ذلك . ولازم بدر ثلاث سنوات حتى عام ٣٣٢هـ ثم فارقه . أما شاكر فإنه يضع وفاتها عام ٣٣٤هـ أي بعد أن ترك بدر بن عمار وهام متنقلاً في ديار الشام .

أما بلايشر فإنه يضع وفاتها حوالي ٣٢٩هـ أيضاً وهو التاريخ الذي اعتمده العريض . وأنا أميل إلى رأي الأستاذ إبراهيم العريض . لأن الحدث الكبير الذي تم عام ٣٢٩هـ كان الغيبة الكبرى للإمام المهدي المنتظر . وإذا كانت جدة المتنبي تعرف علاقة المتنبي بالإمام المهدي فإن ذلك الاستدعاء له ما يبرره ، وما كان التفكير والفكر العلوي يقبل ويوافق على تلك العلاقة آنذاك .

خـارطـة طـبـريـة

«ابـن عـمـار» ٣٢٨هـ - ٣٣٤هـ

١-أنطاكية

٢- اللاذقية

٣- طرطوس

٤- طرابلس

٥- جرش

٦- طبرية

٧- القدس

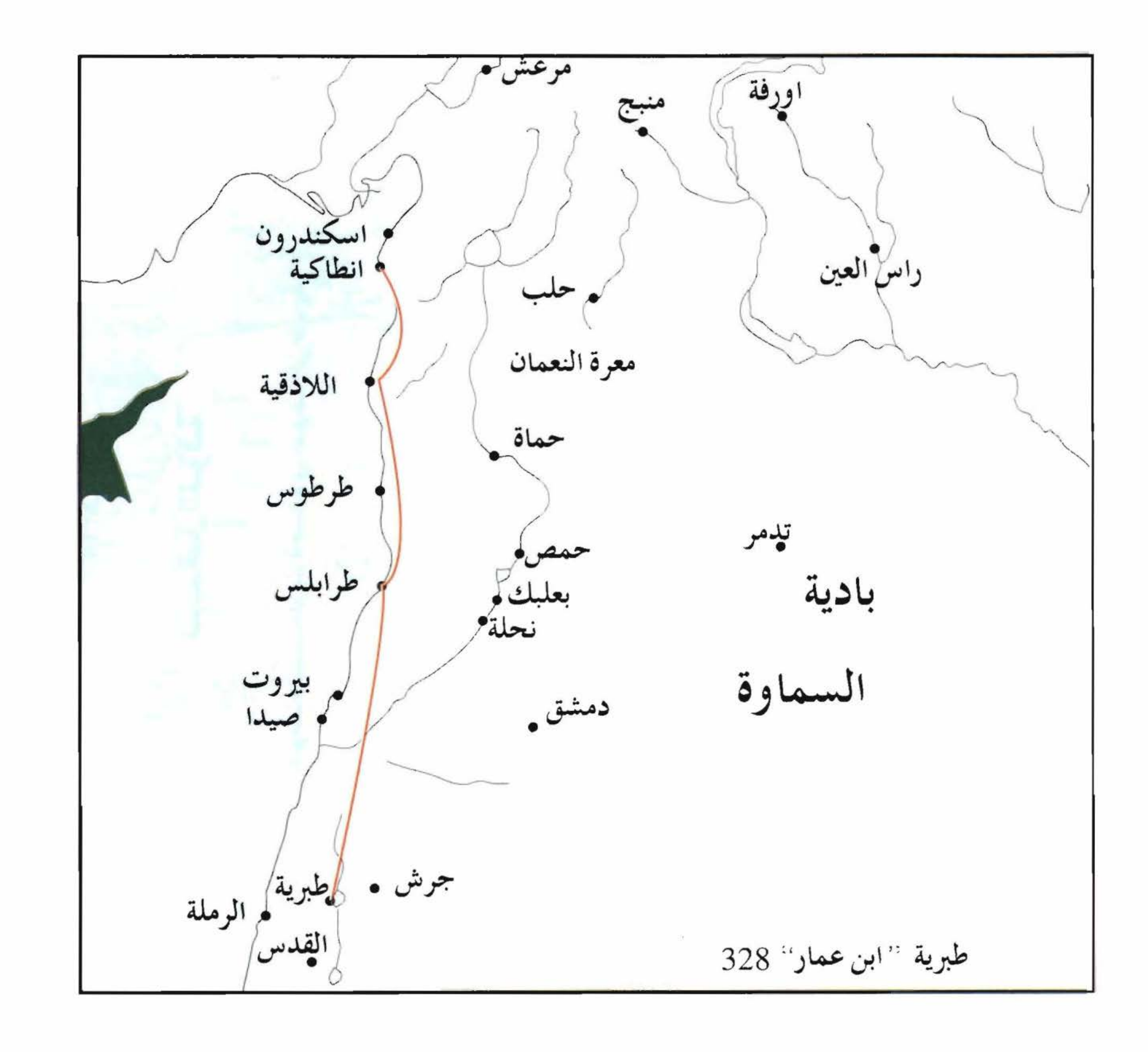
٨- الرملة

٩- حلب

١٠- حماة

١١- بعلبك

١٢- نحلة



طبرية "ابن عمار" 328

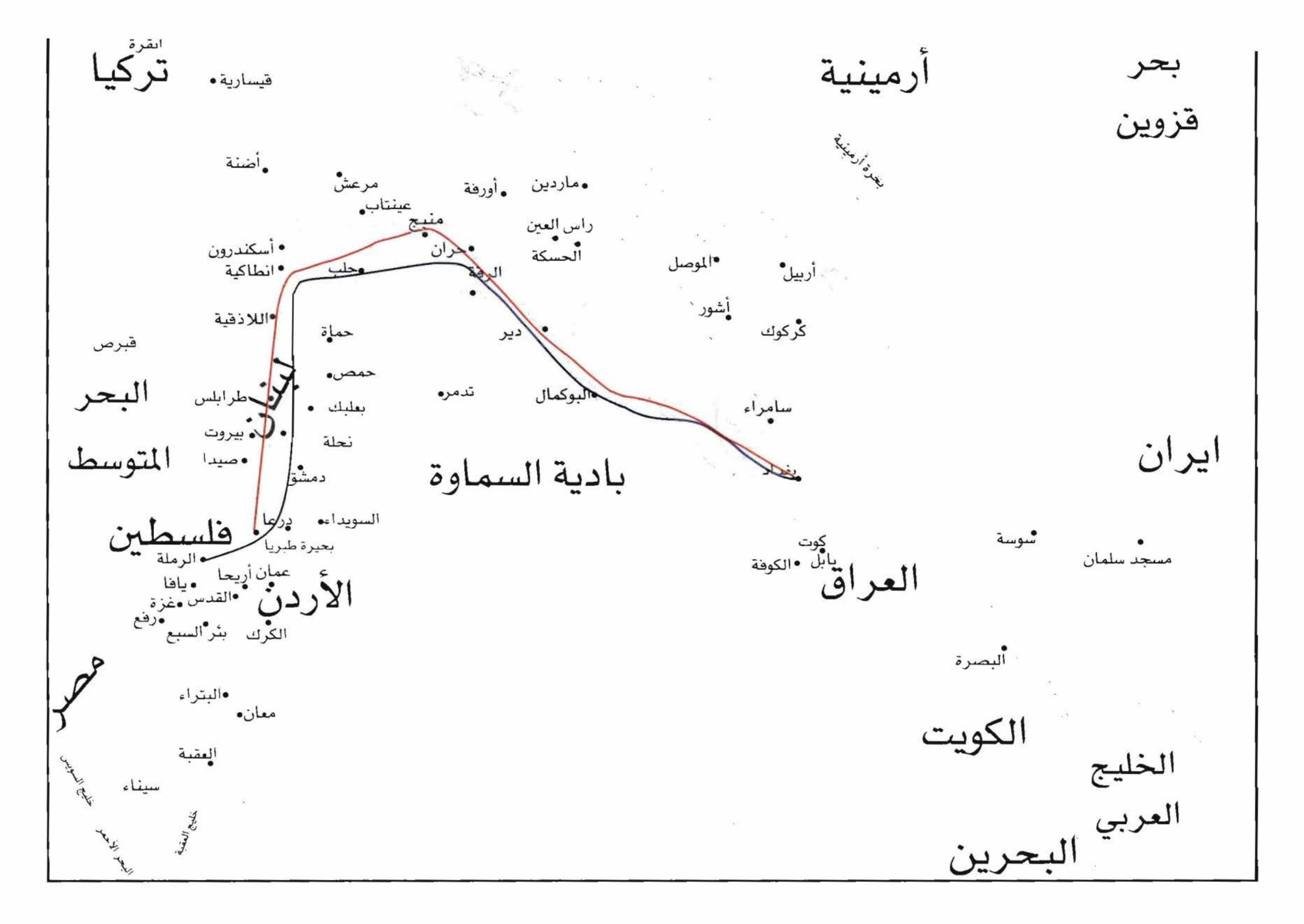
خارطة وفاة جدته

٣٢٩هـ

لم يدخل الكوفة

عودته الثانية لزيارة جدته ورجوعه إلى طبرية

١- الرملة
٢- درعا
٣- دمشق
٤- نحلة
٥- بعلبك
٦- طرابلس
٧- اللاذقية
٨- أنطاكية
٩- حلب
١٠- منبج
١١- البوكمال



انقرة
تركيا
قيسارية
أرمينية
بحر
قزوين
بحيرة أرمينية
أضنة
مرعش
عينتاب
منبج
أورفة
ماردين
راس العين
الحسكة
أسكندرون
انطاكية
حلب
حران
الموصل
أربيل
أشور
كركوك
اللاذقية
حماة
دير
قبرص
حمص
لبنان
البحر
المتوسط
طرابلس
بعلبك
تدمر
البوكمال
سامراء
بيروت
نحلة
صيدا
دمشق
بادية السماوة
ايران
درعا
السويداء
فلسطين
بحيرة طبريا
الرملة
كوت
بابل
الكوفة
شوسة
مسجد سلمان
عمان
أريحا
يافا
الأردن
العراق
القدس
غزة
رفع
بئر السبع
الكرك
البصرة
مصر
البتراء
معان
الكويت
العقبة
الخليج
العربي
سيناء
البحرين
خليج السويس
البحر الأحمر
خليج العقبة

ديار الشام (٣٣٢هـ - ٣٣٦هـ)

كانت هذه فترة مضطربة في حياة المتنبي ، لم يعرف خلالها لا الاستقرار المعيشي ولا النفسي . كثر حساده في دار ابن عمار في طبريه وضايقه العلويون بقيادة ابن كروس فعبر الأردن إلى جرش ومنها إلى دمشق (٣٣٢هـ) ، ثم هام على وجهه في البادية ، بادية السماوة ، حتى عام ٣٣٤هـ . وفي هذا يقول :

أوانا في بيوت البدو رحلي
وآونة على ظهر البعير

وطوراً :

أذمُّ إلى هذا الزمان أُهيله
فأعلمُهم فَدْمٌ وأحزمهم وَغْدُ
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بدّ

وفيما يلي قائمة بتنقله خلال تلك الفترة ، مصدرها شعره ولا شك ، ولكنني اعتمدت على عزام وشاكر والمعري وترتيب الواحدي في تسجيلها .

مغادرة طبريه	٣٣٢ - ٣٣٣
جرش / دمشق	٣٣٣
البادية	٣٣٣ - ٣٣٤
أنطاكية «قبل أن تتبع الحمدانيين»	٣٣٤ - ٣٣٥
طبريه بعد وفاة ابن عمار	٣٣٦
الرملة «ابن طغج»	٣٣٦

استيلاء الحمدانيين على نصف سوريا تقريباً	٣٣٦
أنطاكية «أبو العشائر»	٣٣٦
حلب سيف الدولة	٣٣٧

يجدر القول هنا إن المتنبي خرج من الرملة قاصداً أنطاكية بعد أن دانت للحمدانيين عام ٣٣٦هـ ، ولكنه لما وصل إلى طرابلس اعترضه ابن كيغلق فهرب من طرابلس إلى دمشق ثم إلى بعلبك وأنطاكيه عام ٣٣٦هـ بعد أن احتل الحمدانيون المنطقة .

خـــارطــة

طــبــريــة - بــاديــة الشــام - أنطــاكية حــلــب

٣٣٢هـ - ٣٣٦هـ

١- الرملة

٢- طبرية

٣- جرش

٤- دمشق

٥- تدمر

٦- نحلة

٧- بعلبك

٨- حمص

٩- طرابلس

١٠- حماة

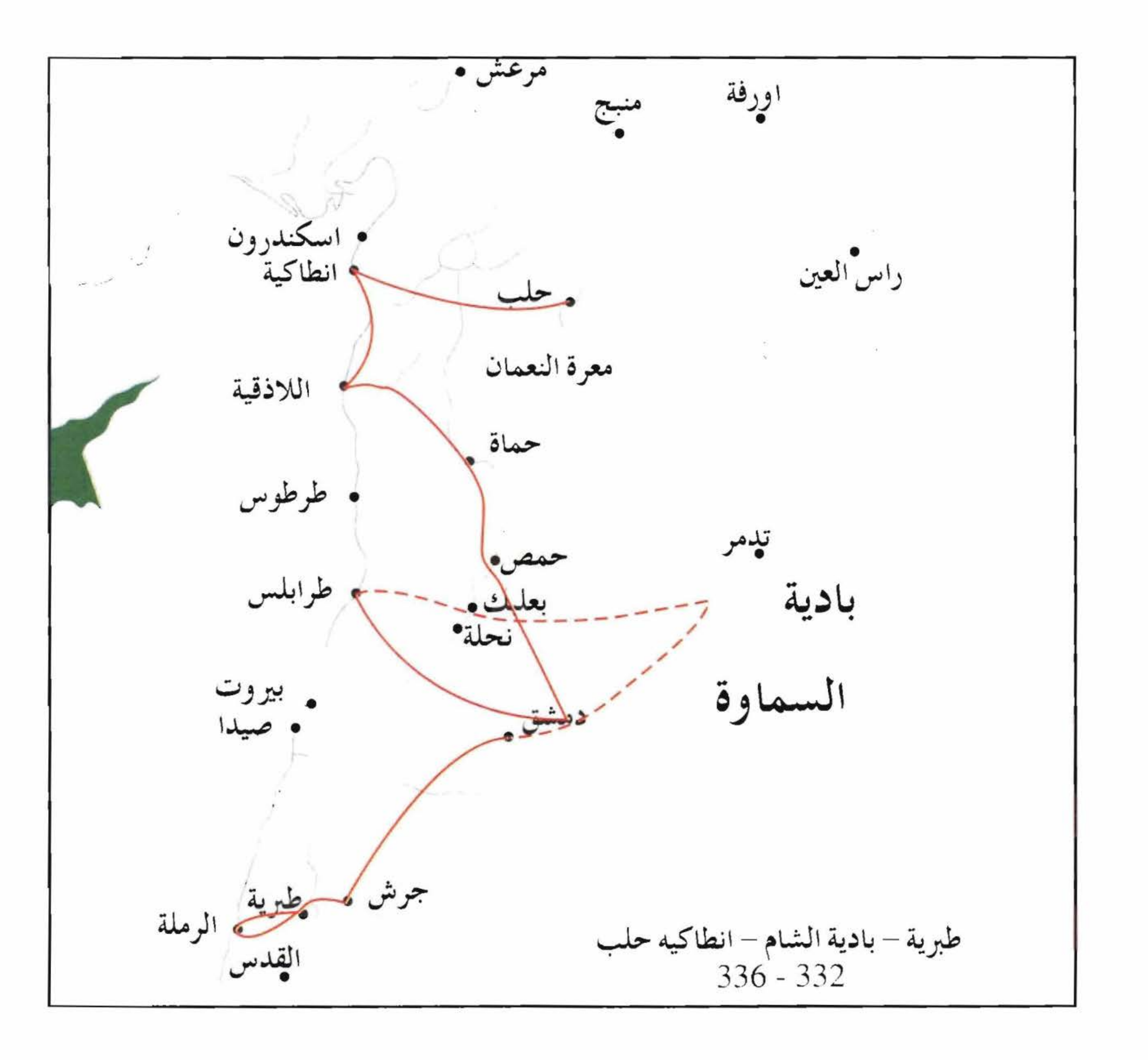
١١- اللاذقية

١٢- معرة النعمان

١٣- حلب

١٤- إسكندرون

١٥- أنطاكية



طبرية – بادية الشام – انطاكيه حلب
336 - 332

عند سيف الدولة

٣٣٧هـ - ٣٤٦هـ

مدح المتنبي سيف الدولة في أنطاكية عندما عاد من غزوة في ديار الروم . «وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه» . ويقال إن المتنبي تأخر في إنطاكية عدة أشهر لترتيب أموره ولا ندري حتى اليوم ما هي هذه الأمور . قيل إنها تتعلق بترتيب إرسال زوجته وابنه محسد إلى الكوفة . هل كان محسد طفلاً ولد في ذلك العام كما تشير بعض الروايات أم أنه ولد قبل ذلك التاريخ بـ ١٢ سنة؟ . المتنبي والتاريخ صامتان عن ذلك .

لازم المتنبي سيف الدولة قرابة ٩ سنوات ومدحه بأجمل وأغنى وأعمق ما قاله . ووصف معاركه بما هو أحقّ بالبقاء ولكن حياة البلاط - حاشدة بالحسد ، مملوءة بالدس واستغلال النفوذ ومحاولات التقرب إلى الأمير . وساعد في ذلك غرور المتنبي وحدّة طبعه ، فأحرجه عند سيف الدولة . وما لبثت تلك العلاقة أن تحولت من السأم إلى الضجر . ففارقه عام ٣٤٦هـ .

كان المتنبي يملك ضيعة وهبه إياها سيف الدولة في معرة النعمان جنوبي حلب فاستأذنه في السفر ليذهب إليها طلبا للراحة . هذا حسب عادته ، ولكن سيف الدولة عرف بأن المتنبي سوف لن يعود ولم يمانع في ذلك . كانت الدولة الحمدانية تمتد جنوباً إلى حدود حمص تقريباً فسلك المتنبي طريقاً صحراوياً بعد المعرة (دائماً بادية السماوة) حتى مرّ بين تدمر وموقع يقول له ضمير وهي اليوم مدينة كبيرة شمالي شرقي دمشق . حتى وصل إلى دمشق .

لئن تركـنَ ضَـمَـيْـراً عن ميـامننـا

لَيَحْـدُثَـنَّ لمِـن ودعـتـهم نَـدَمُ

ومن هناك اتصل بكافور فسافر إلى مصر ماراً من عند أصدقائه القدماء ابن طغج ومن هناك ذهب إلى كافور .

أرفقت بهذا الباب ثلاث خرائط توضيحية أولها خارطة للدولة الحمدانية أيام سيف الدولة قارنتها بخارطة حديثة لتركيا . وقد تغيرت أسماء المواقع والمدن بمرور الوقت ولكن الأنهار كسيحان وجيحان والمدن الرئيسية كديار بكر وقيصرية ومرعش (ماراس) حافظت على أسمائها . ولكني لم أعثر على ميا فارقين «البستان» ؟ .

والخارطة الثانية تشتمل على زيارات سيف الدولة والخارطة الثالثة على حروبه . ولا يوجد لا في شعر المتنبي ولا في كتابات من أرّخ له ما يدل على أنه ترك حدود الدولة الحمدانية في تلك الفترة .

خارطة الدولة الحمدانية

أيام سيف الدولة

١- طرابلس

٢- تدمر

٣- بحيرة الثرثار

٤- سامراء

٥- كركوك

٦- الموصل

٧- آمد

٨- مرسين

٩- اسكندرون


الدولة الحمدانية
حدود الدولة الحمدانية
٢٠٠ كم
١٠٠
بحيرة فان
بحيرة أورمية
آمد
ديار بكر
ملاطية
ميا فارقين
أورقة
ماردين
نصيبين
راس العين
حران
كركميش
عينتاب
مرعش
أعزاز
الباب
منبج
حلب
إدلب
أبلا
أنطاكية
بحيرة العمق
أسكندرون
أضنة
طرسوس
سيحان
جيحان
مرسين
الحسكة
الموصل
الزاب الكبير
اربيل
الزاب الصغير
دجلة
كركوك
أشور
الثرثار
سامراء
بحيرة الثرثار
بحيرة الحبانية
الفرات
الخابور
الرقة
بحيرة الأسد
الرصافة
دير الزور
قصر الحير الشرقي
قصر ابن وردان
أفاميا
العاصي
حماة
السلمية
الرستن
حمص
قلعة حصن
تدمر
قصر الحير الغربي
قادش
ملري
ابوكمال
اللاذقية
بانياس
طرطوس
أرواد
طرابلس
جبيل
بيروت
صيدا
الليطاني
دمشق
بردى
قبرص
البحر المتوسط

خــارطــة الدولــة الحمــدانــية

٣٣٧هـ - ٣٤٦هـ

زيــارات المتنـبي مــع سيـف الدولـة

١- ميا فارقين

٢- حلب

٣- حـران

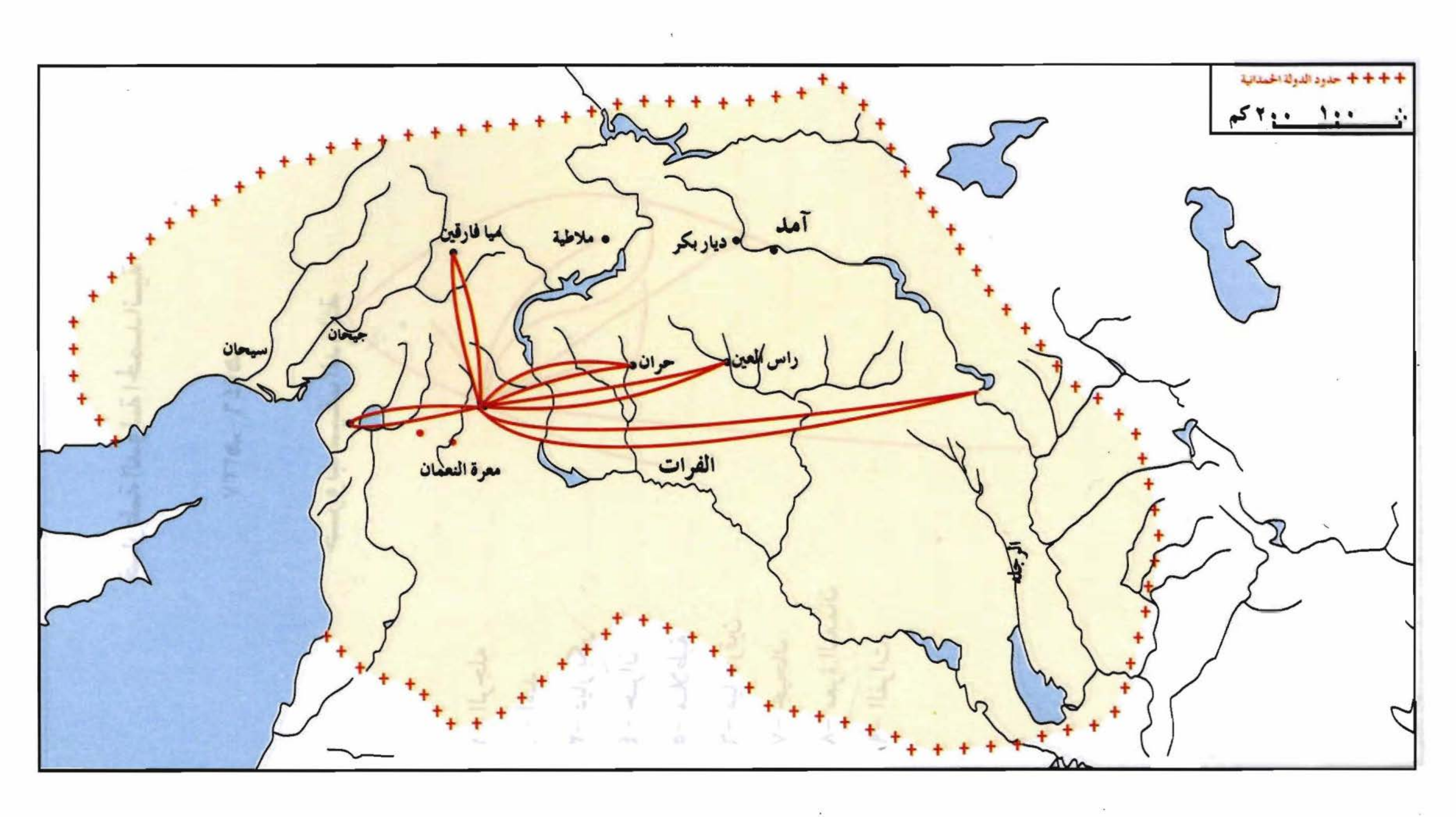
٤- رأس المعين

٥- الفرات

٦- معرة النعمـان

٧- جيحان

٨- سيحان



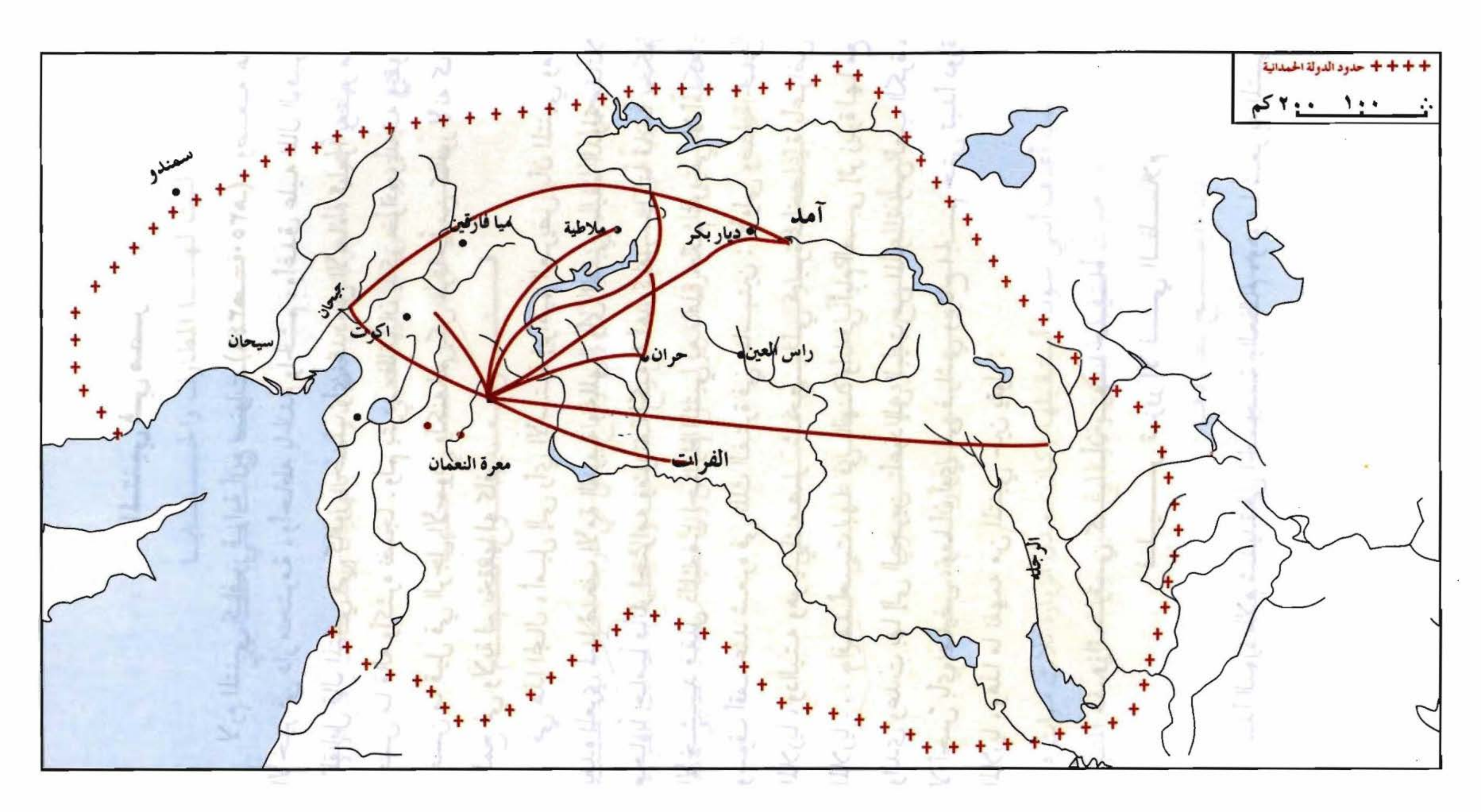
حدود الدولة الحمدانية
٠ ١٠٠ ٢٠٠ كم
ميا فارقين
ملاطية
ديار بكر
آمد
سيحان
جيحان
حران
راس العين
معرة النعمان
الفرات
الدجلة

خـــارطـة الدولـة الحمـدانـيـة

٣٣٧هـ - ٣٤٦هـ

حـــروب سيـف الدولـة

١- الرجله
٢- آمـد
٣- ديار بكر
٤- حـران
٥- مـلاطية
٦- ميا فارقين
٧- جيحان
٨- معرة النعمان
٩- الفرات


حدود الدولة الحمدانية
١٠٠ ٢٠٠ كم
سمندو
ميا فارقين
ملاطية
آمد
ديار بكر
جيحان
سيحان
اكوت
حران
راس العين
معرة النعمان
الفرات
الرجلة

لازم المتنبي كافور قرابة أربع سنوات (٣٤٦هـ - ٣٥٠هـ) . وضعه هذا الأخير في دار محترمة ، وأحاطه بالخدم والحشم ، وأغدق عليه المال الوفير . بالمقابل قال المتنبي في كافور ، حسب رأي عدد من الأدباء ، شعراً يعتبر من أحسن ما قاله وأكثره نضجا . ولم يتردد مطلقاً ان يذكر سواده ويمدحه ويقول أحسن ما قيل في الرجل الأسود . ولكنه لم يكن مرتاحاً من كافور لأنه كان يطمح في ولاية لم يحققها له كافور .

في هذا المجال ، أميل إلى رأي الأستاذ إبراهيم العريض بأن المتنبي ومن بعده المعري لمسا ضعف الأمة العربية وتحللها . رأى المتنبي سيف الدولة مقاتلاً محارباً حامياً فأثار احترامه ومودته ، لكنه شاهد كافور ساكتاً قانعاً بحكم الأخشيد فقلل ذلك من احترام المتنبي له . هذا حكم تاريخي لا أملكه . وسوف أقف عند شعره في تلك الفترة في مناسبتين : الأولى وصفه لحمى الملاريا ، وداليته وهو يترك مصر . شخصياً لي خبرة شخصيّة بأعراض الملاريا . . . . فقد أصبت بها في الهند وأنا في أيام الصبى إثر زيارة لها مع والدي وعدت بها إلى البحرين . أعود إلى البيت من المدرسة ومن لعب الكرة ، لا أحسّ بأي عارض ، وما أن آوي إلى فراشي ويرتاح الجسم حتى تبدأ دورة الملاريا ، وهذا ما نفهمه من المتنبي حين يقول :

وزائرتي كأن بها حياء
فليس تزور إلا في الظلام

تبدأ الدورة بآلام شديدة في الجمجمة والعظام ، وهو ما شعر به المتنبي

حين قال :

بذلت لهـــا المطارف والحـــشايا
فـعـــافـتـهـــا وباتت فـي عظـامـي

ترتفع الحرارة فأشعر بنوع من الغثيان وأبدأ بالهذيان وبعد ساعتين من الآلام والوجع ، تبدأ دورة أخرى قال فيها المتنبي :

يضـــيق الجلد عن نفـــسي وعنـهـا
فـــتـــوسـعـه بأنـواع السِّـــقـام

تتحول تلك البرودة والآلام إلى ارتفاع هائل في درجة الحرارة ، فيتصبب العرق غزيراً من جسدي وأبدأ في رفع الشراشف والأغطية بعد تلك الحرارة وأخيراً يتصبب ذلك العرق الغزير ليبلل الفراش والأغطية . يصف المتنبي هذه الدورة بقوله :

إذا مـا فـــارقـــتـنـي غـسّلـتـنـي
كـأنّا عـاكـفـان عـلـى حَـرام
كـأن الصُّـبح يطـردهـا فـتـجـري
مـدامـعـهـا بأربـعـة سـجـام

وكنت أعرف أنني سوف أستقبلها (كان معدل الزيارة ثلاث مرات في الأسبوع) ، ولذا صرت أستقبلها ولكن بغير فارغ صبر . وهذا ما وصفه المتنبي بحصافة حين قال :

كـأن الصـبح يطـردهـا فـتـجـري
مـدامـعـهـا بأربـعـة سـجـام

أراقب وقـــتـــهـــا مـــن غـــيـــر شـــوق
مـــراقـــبـــة المـشـــوق المـســتـــهـــام

والقصيدة الأخرى هي وداع مصر :

عـــيـــد بأية حـــال عـــدت ياعـــيـــد
بما مـــضـــى أم بأمـــرٍ فـــيـك تجـــديـــد

يقول غازي القصيبي إن الأمة العربية لم تعرف منذ الغزو المغولي إلا الذل والأسى . ولا يمر عليها يوم عيد!! وهي في ظرف مأسوي ولا التقى أحدهم بصاحبه إلا وردد «عيد بأية حال عدت يا عيد» أبقى هذا البيت المتنبي في ضمير الأمة العربية ووجدانها .

لم يترك المتنبي مصر اللهم إلا إلى زيارات قصيرة للفيوم عند فاتك .

حلب ـ الفسطاط
346 - 346



خارطة حلب - الفسطاط

٣٤٦هـ - ٣٤٦هـ

١- بلد الروم
٢- الدولة الحمدانية
٣- حلب
٤- معرة النعمان
٥- حمص
٦- ضمير
٧- دمشق
٨- الرملة
٩- الأخشيد
١٠- غزة
١١- بيروت
١٢- الفسطاط
١٣- أنطاكية

مصر - الكوفة
الرحلة الأسطورة ٣٥٠هـ

هذه هي أهم رحلات المتنبي وتنقلاته وأكثرها إرهاقاً سواء كانت بالنسبة له أم بالنسبة لي . لأنني أيضاً تعبت في معرفة الطريق الصحراوي الذي سلكه المتنبي .

غادر أبو الطيب مصر يوم النحر ٣٥٠هـ مساءً والقوم هناك يحتفلون عادة بذلك اليوم ويقيمون الأفراح والمآدب ، ويقام لكافور مهرجان عظيم ليلة العيد . رتب المتنبي أموره ثم سار في اتجاه شمالي إلى مدينة بلبيس الواقعة على قناة أمير المؤمنين ليوهم كافور بأنه سلك الطريق الشمالي الساحلي في سيناء ليصل إلى فلسطين .

جزى عربا أمست ببلبيس ربّها
بمسعاتها تَقْرَر بذاك عيونها

ولكنه ما لبث أن عرّج إلى الجنوب الشرقي في اتجاه القلزم (السويس اليوم) والممرات الجبلية ثم قطع هضبة التيه (وادي التيه) ووصل (نخل) في وسط سيناء ثم عبر رأس خليج العقبة بين إلية (العقبة وإيلات اليوم) وبين معان متحاشيا وجود حاميتين لكافور هناك حتى وصل (النقاب) .

الخارطة المرفقة تدل على أنه ذهب في اتجاه جنوبي غربي إلى هضبة حسمى ثم دخل (وادي المياه) الذي يمتد إلى شمالي المدينة المنورة . لا نعرف أين توقف في ذلك الاتجاه . هل كان يقصد المدينة والحجاز ونجد؟ لا ندري . نجد أنه رجع في اتجاه شمالي شرقي حتى وصل إلى (الكبد) ثم دخل دومة الجندل (الجوف اليوم) ، الجوف كانت آنذاك امتداداً لبادية السماوة ، حيث تربي صغيراً

عند بدوها ، ومنها سهل عليه الدخول إلى الكوفة .

دخل الكوفة فرحاً مرتاحاً منتصراً محيطاً نفسه بهالة من النجاح والمجد والعز .

فلما أنخنا ركزنا الرما
ح بين مكارمنا والعلى
وبتنا نقبل أسيافنا
ونمسحها من دماء العدى

لقد نجح المتنبي في تضليل كافور «ونام الخويدم . . .» بعد أن سماه «كويفير» ثم سلك طريقاً وعراً ضلل فيه جند كافور وحامياته في سيناء والأردن والحجاز . خانه بعض عبيده فتركهم نياماً وحاول أحدهم سرقة سيفه المذهب ليعطيه أحد مشايخ البدو «وردان» ، فضربه بالسيف وقتله . نعم دخل الكوفة مقبلاً سيفه ماسحاً دم من اعترضوه ، وفوق كل ذلك . . . عد المتنبي نفسه من الشعراء العمالقة الذين سبقوه في عبور الصحاري والوقوف على الأماكن والأطلال . فإذا كانت هناك معالم مثل (حومل) و (المقراة) و (الحومانة) و(الجواء) و (برقة ثهمد) التي وقف أمامها إمرؤ القيس وطرفة وزهير وعنترة ، فهناك النقاب وتربان والبسيطة والجميحي والرهيمة وسائر الأماكن التي قطعها المتنبي ووقف عندها أو عند أطلالها .

استغرقته هذ الرحلة قرابة ٣-٤ أشهر حسب ما يظهر من التواريخ . وامتدت من يوم النحر حتى أول أسبوع من ربيع الأول عام ٣٥١هـ . (يناير ٩٦٠ حتى مارس ٩٦١م) .

ويتذكر المتنبي في هذه الأبيات تلك الرحلة ووقائعها :

ضربت بها التيه ضرب القمَا
ر أمّا لهذا وإما لذا

فمرت بنخل وفي ركبها
عن العالمين وعنه غنى

وأمست تخيرنا بالنقا
ب ووادي المياه ووادي القُرى

وقلنا لها أين أرض العراق
فقالت ونحن بتربان هَا

وهبت بحسمى هبوب الدَّبُو
ر مستقبلات مهب الصبا

روامي الكفاف وكبد الوهاد
وجار البويرة وادي الغضا

وجابت بسيطة جوب الردا
ء بين النعام وبين المها

إلى عقدة الخوف حتى شفت
بماء الجراويّ بعض الصدى

ولاح لها صور والصباح
ولاح الشغور لها والضحى

ومسّى الجُميعى دئداؤها
وغادى الأضارع ثم الدنا

فيالك ليلا على أعكش
أحمَّ البلاد خفي الصُّوى

وردنـــا الـــرهـيـــمـــة فـــي جـــوزه
وبـــاقـــيـــه أكـــثـــر ممـــا مـــضـــى

الرهيمة تقع جنوبي غربي الكوفة أول طريق «درب زبيدة» إلى الحج وكان مساره شمالي ذلك الدرب فالتقى الطريقان قبل الكوفة .

أقف قليلاً عند البيت :

وهـبـت بـحـســمـى هـبـوب الدبـو
رمـســتـقـبـلات مـهـب الصـبـا

حسمى هضبة جبلية تمتد تقريباً من وادي الأردن شمالاً حتى جنوب تبوك . هل اكتفى المتنبي بشمال تلك الهضبة أم أنه تغلغل جنوباً إلى الحجاز نحو المدينة المنورة؟ . البيت يقول بأنه تغلغل .

الدبور هي الرياح الحارة الرطبة التي تهب على الحجاز من البحر الأحمر . أما الصبا فإنها الريح المسائية التي تهب على الحجاز من نجد ولأنها تمر على جبال الحجاز المرتفعة فإنها تبرد فتصل الحجاز (تهامة) ريحاً ناشفة منعشة باردة فأصبحت كل ريح مسائية ليلية منعشة باردة تهب على أي بلد تسمى بريح الصبا .

وقد وردت الصبا في الكثير من القصائد العربية نورد منها :

البحرين

إذا عـرضـت عـنـهـا الجـنـوب لـعـارض
حـبـتـهـا ولم تـبـخـل بـريـح الصـبـا نجـد

بغداد

الصبا أن كاد لا بد الصبا
أنها قامت لقلبي أروحا

غرناطة

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا
من لو على البعد حيى كان يحيينا

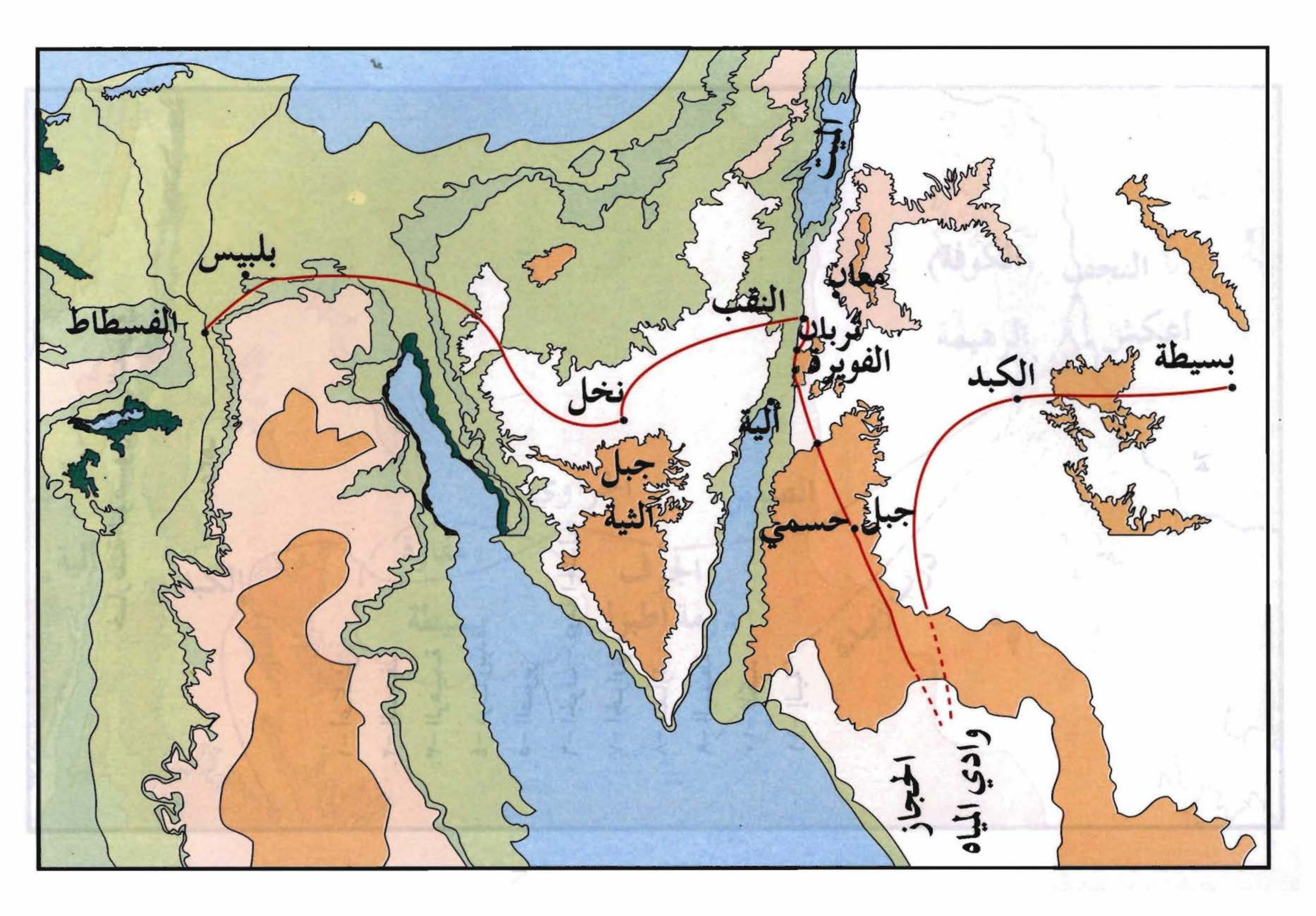
ومما لا شك أن المتنبي تجاوز منطقة هضبة حسمى جنوبا إلى وادي المياه شمالي المدينة ليحس بالصبا ويحس بالدبور . ثم عاد في اتجاه شمالي شرقي (انظر الخارطة) . حتى وصل الكبد ثم غير اتجاه سيره إلى الشرق فوصل البسيطة والجوف ذاكراً الأماكن التي مر بها حتى وصل بسهولة إلى الكوفة .

الرحالة سيل (١٩٠٨ - ١٩١٤) يقول إن وادي المياه يعني الحجاز .

خارطة الخروج من مصر

٣٥٠هـ

١- البسيطة
٢- الكبد
٣- وادي المياه
٤- الحجاز
٥- جبل حسمي
٦- تربان
٧- القويرة
٨- جبل التيه
٩- نخل
١٠- النقب
١١- بلبيس
١٢- الفسطاط

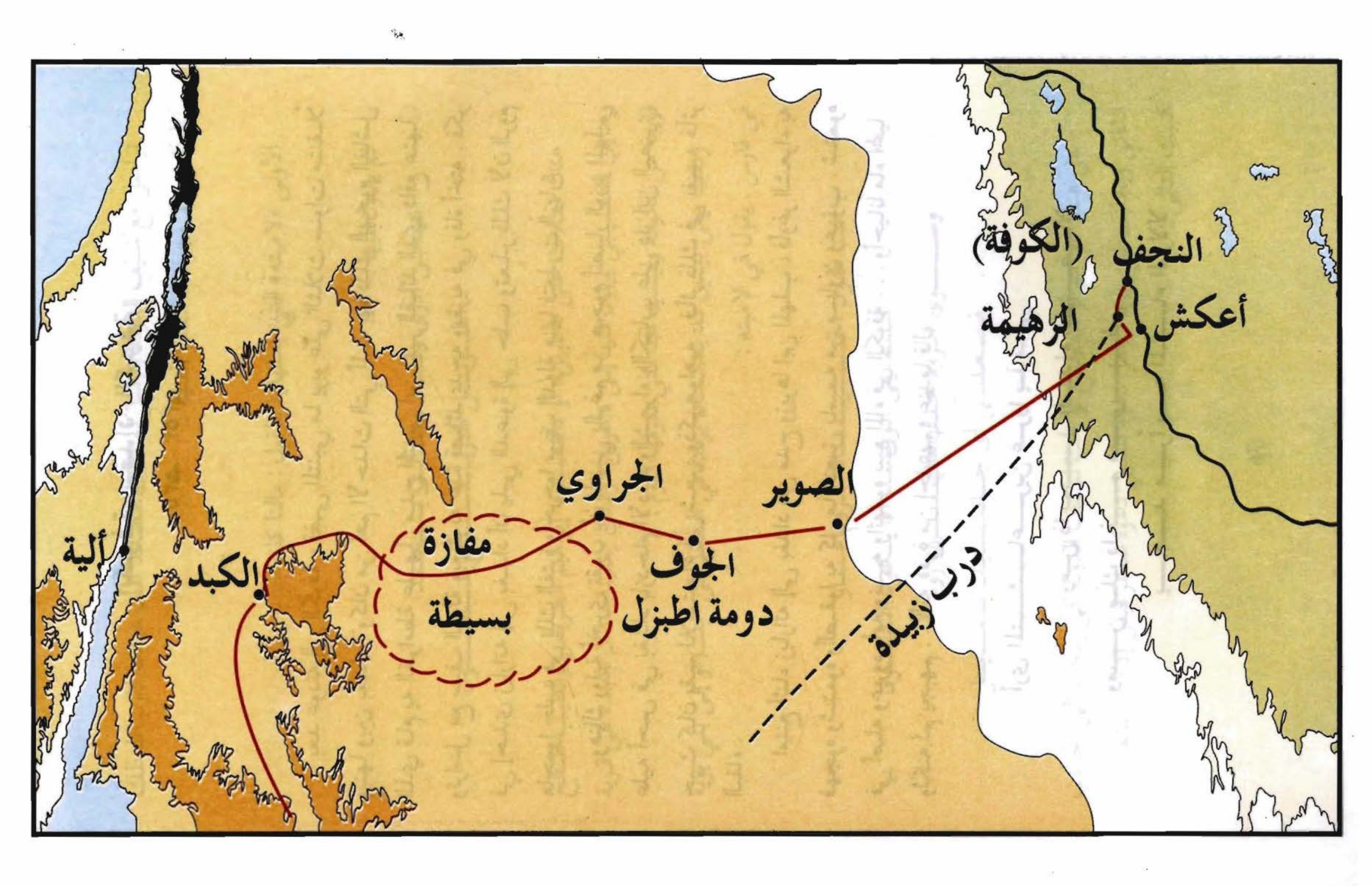


الفسطاط
بلبيس
نخل
النقب
معان
ثربان
الفويرقة
أيلة
جبل
الثية
جبل حسمي
الكبد
بسيطة
الحجاز
وادي المياه

خارطة الوصول إلى العراق

١٣٥١هـ

١- أعكش
٢- النجف
٣- الرهيمة
٤- درب زبيدة
٥- الصوير
٦- الجوف - دومة الجندل
٧- الجراوي
٨- مفازة
٩- البسيطة
١٠- الكبد
١١- إلية


النجف
(الكوفة)
أعكش
الرهيمة
الصوير
الجراوي
الجوف
دومة اطبزل
مفازة
بسيطة
الكبد
ألية
درب زبيدة

الكوفة - بغداد - الكوفة
٣٥٠هـ - ٣٥٣هـ

بعد عودته إلى الكوفة ، قضى المتنبي ما يربو على الثلاث سنوات متنقلاً بينها وبين بغداد . وكان من أهم الأحداث التي ألمت بها ذلك الهجوم الفاشل الذي قام به القرامطة عليها . مدح المتنبي ابن دلير القائد الذي دافع عنها . وتراسل مع سيف الدولة وبعث له عدة قصائد يمدحه ويعزيه في وفاة أخته . فكر في إحدى زياراته إلى بغداد أن يلبي الدعوة إلى حلب وتعذر ذلك لأن الروم هاجموا حلب في تلك الفترة وأخرجوا سيف الدولة منها فتعذرت الزيارة .

وهناك رواية أخرى تقول بأن المتنبي بالرغم من هجوم أنصار الوزير المهلبي عليه أحس في بغداد بازدحام الأدباء والشعراء والكتاب على دار ابن البصري حيث كان يقيم للاستماع إلى شعره وذكر مواهبه . فأثر ذلك في نفسه فآثر البقاء .

امتنع أثناء زياراته إلى بغداد عن مدح وزيرها ابن المهلب ، فأوغر الشعراء به فهجوه وشتموه وألصقوا به كل ما التصق باسمه من مساوئ وعيوب . شتموه في أصله وعيروه بأمه ونسبه واتهموه ببيع الماء في الكوفة . . . وأحياناً ماء المحيا . ولكنه لم يجبهم . . لأنه «فرغ من إجابتهم» عندما قال :

أرى المتشاعرين غروا بذمي
ومن ذا يحمد الداء العضالا

ومن يك ذا فم مريض
يجد مراً به الماء الزلالا

تراسل مع سيف الدولة وأرسل له ثلاث قصائد أقف عندها لارتباط ذلك بالأطلس، لا بجوانب الشعر الفنية .

الأولى «لاميته» التي يستهلها بالقول : مالنا كلنا جَوٍ يا رسول

ثم يقول فيها :

نحن أدرى وقد سألنا بنجد
أطويل طريقنا أم يطول

هناك خلاف على «أطويل» أو «أقصير» إبراهيم العريض والطيب صالح وغازي القصيبي يميلون فنياً إلى «أطويل» والذي يعنينا هنا أن «نجد» هي قرية قريبة من الكوفة وليست نجد التي نعرفها اليوم .

ونقف على بيتين قد يعكسان تردده في السفر إلى حلب أو إلى بني بوية في فارس . يقول في لاميته :

أنت طول الحياة للروم غاز
فمتى الوعد أن يكون القفول
وسوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى أي جانبيك تميل

هل هناك تفاهم أو تشجيع أو حث لسيف الدولة كي يتجه إلى الجانب الثاني ويحارب بني بويه . وهل دعوة المتنبي دعوة شاعر ليس إلا؟ . نستمع إلى البيت التالي :

فهمت الكتاب أبر الكتب
فسمعا لأمر أمير العرب

غازي القصيبي ومن قبله شاكر يقول إن كلمة «فهمت» ليست من كلام الشعراء فماذا فهم المتنبي من خطاب سيف الدولة . التاريخ ساكت عن ذلك ولم يقل كلمته بعد .

برنامج رحلاته

دخول الكوفة	ربيع ٣٥١ هـ
رحلة بغداد	آخر ٣٥١ هـ
العودة إلى الكوفة	منتصف ٣٥٢ هـ
رحلة بغداد	آخر ٣٥٣ هـ
	أول ٣٥٤ هـ

بغداد - أرجان - شيراز

٣٥٣هـ - ٣٥٤هـ

كانت الدولة البويهية (إن صح التعبير) مهيمنة على ثلثي إيران الحالية ونصف العراق الجنوبي ، وكان رئيسها ، في تلك الفترة عضد الدولة ، يلقب نفسه بملك الملوك «شاهنشاه» ، و يسكن في عاصمتها شيراز . وقد ولى الوزارة الأستاذ الفاضل والكاتب الأديب أبو الفضل محمد بن الحسين الملقب بابن العميد . وكان والياً على القسم العربي الشمالي من إيران ويشمل الأهواز وأصفهان والري «طهران اليوم» . وكان الأمير والوزير من أكبر أدباء زمانهما . وكانت شيراز مثل سائر حواضر العالم الإسلامي الأخرى ، بالرغم من التفكك السياسي ، مركزاً للشعراء والأدباء والعلماء والفلاسفة والفلكيين . ألّف فيها في تلك الفترة أشهر وأهم كتب العرب وهما «الأغاني» والمجسطي وهو كتاب بطليموس عن «صور السماء» . دعا ابن العميد المتنبي لزيارته في أرجان عندما كان يتنقل ما بين بغداد والكوفة ، فلم يستجب لتلك الدعوة في أول الأمر . والظاهر أن مرارة تجاربه مع بدر بن عمار وسيف الدولة وأخيراً كافور تركت أثراً سيئاً في نفسه فتردد في أول الأمر ولكنه قرر في الأخير أن يزور ابن العميد .

ترك الكوفة بالطريق المعتادة إلى بغداد ثم نزل إلى الأهواز وكانت تسمى «العراق العجمي» حتى وصل في أواخر ٣٥٣ هـ ، وربما أوائل عام ٣٥٤ هـ إلى أرجان مدينة ابن العميد . وهي مدينة أثرية ، تبعد اليوم ١٠ كيلومتر من مدينة بهبهان الحالية . استقبله ابن العميد استقبالاً عظيماً ونقف على بيتين في هائيته .

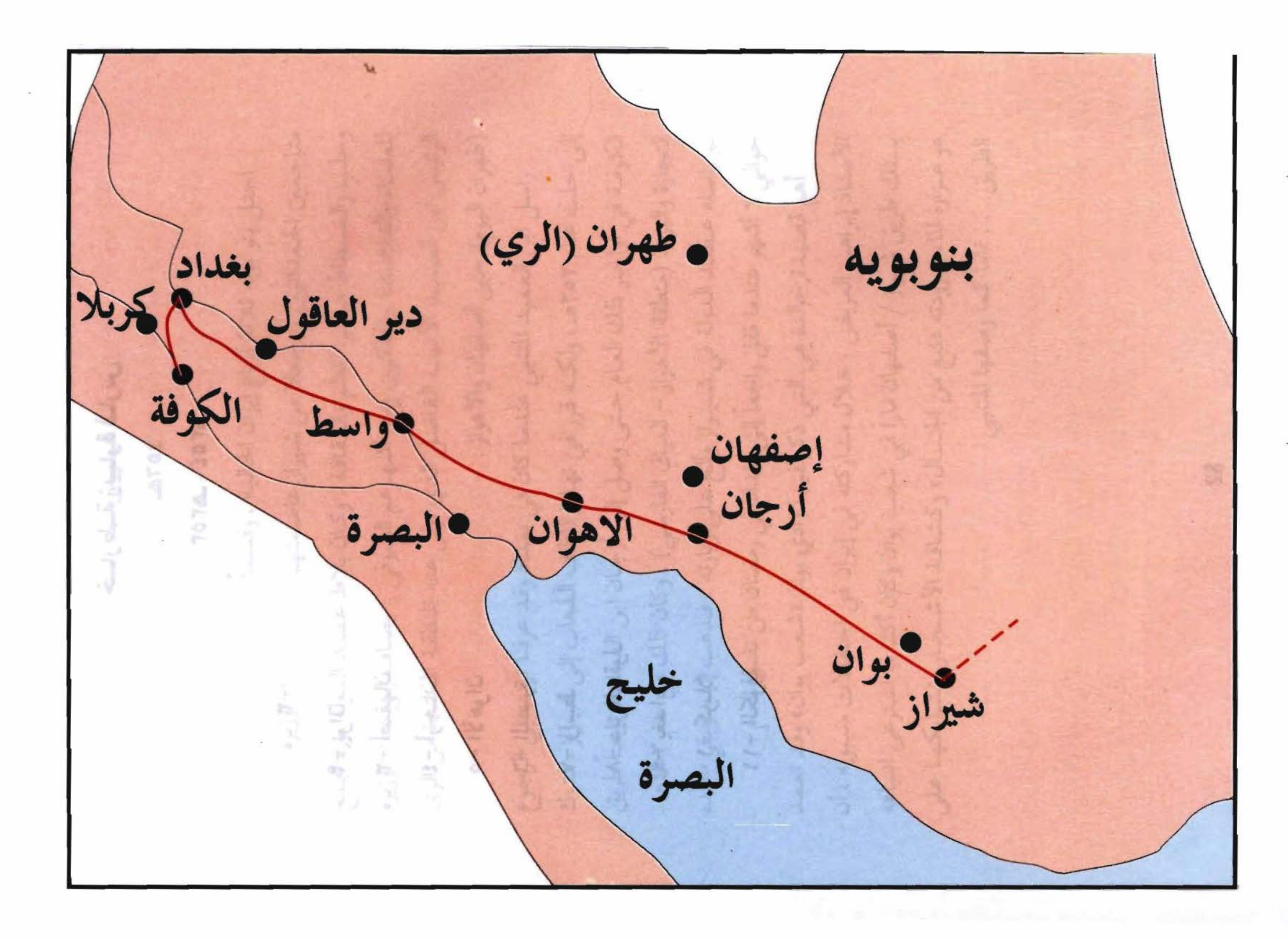
أحب حمصاً إلى خُنَاصِرة

وكل نفس تحب محياها

وقـد رأيـت المـلوك قـاطـبـة
وسـرت حـتـى رأيـت مـولاهـا

هل كان المتنبي يتذكر شبابه في هذين البيتين ديار الشام؟ ومن هي التي كانت في خناصرة . هل هي أم محسد؟ أما البيت الثاني فإنه مما لا شك يتذكر ويريد أن يغيظ سيف الدولة .

يروي ابن جني أن سيف الدولة لما سمع هذا البيت سأل «هل نحن في الجملة» . تردد في أرجان في تلبية دعوة عضد الدولة لزيارته إلى شيراز ، ولكنه ما لبث أن وافق على الزيارة ولم يخل المتنبي بالرغم من تقدم سنه وقصر إقامته من الحسد والغيرة من رجال الحاشية وشعراء الديوان هناك . فلم يهنأ بقرب عضد الدولة . فبقي بقربه عدة أشهر (من ربيع الثاني حتى رجب) . واستأذن في الرجوع إلى الكوفة لتدبير أمور عاجلة على أن يعود إلى شيراز . فعاد في نفس الطريق ولكنه لم يصل بغداد .


بنوبويه
طهران (الري)
بغداد
كربلا
دير العاقول
الكوفة
واسط
إصفهان
أرجان
الاهوان
البصرة
بوان
شيراز
خليج
البصرة

خارطة زيارة فارس

٣٥٣هـ - ٣٥٤هـ

١- شيراز
٢- بوان
٣- أصفهان
٤- أرجان
٥- الأهوان
٦- البصرة
٧- واسط
٨- دير العاقول
٩- بغداد
١٠- كربلا
١١- الكوفة

فــارس

٣٥٤هـ

احتل بنو بويه ثلاثة أرباع إيران الحالية ، وقسماً من تركيا والعراق الجنوبي متاخمين الحمدانيين ، وجعلا من شيراز عاصمتهم . وكانت شيراز مثل بغداد وحلب والفسطاط مركزاً للعلم والثقافة . وكان بلاط عضد الدولة بؤرة تجمع للعلماء والفلاسفة والفلكيين ومن أشهرهم الصوفي . يضاف إلى ذلك وزيره الرئيس ابن العميد الأديب الفاضل الذي تولى عنه المنطقة الممتدة من الري (طهران اليوم) حتى أصفهان والأهواز .

راسل ابن العميد المتنبي عندما كان في بغداد وقد عرفنا تردده في الرجوع إلى حلب عام ٣٥٣هـ . ولكنه قرر في نهاية المطاف الذهاب إلى شيراز . فترك الكوفة في أواخر ذلك العام حتى وصل إلى أرجان ابن العميد تابعاً طريق التجارة والبريد (منطقة الأهواز - العراق الفارسي) ، وكان ذلك في عام ٣٥٤هـ . ثم راسله عضد الدولة في شيراز وألح على زيارته . فذهب إليه وبقي عنده حوالي ٦ أشهر عندما قفل راجعاً إلى بغداد في رمضان من نفس العام .

أهم قصيدة خالدة هي التي ذكر فيها وادي بوان «شعب بوان» وقد تعمد الأستاذ إبراهيم العريض ، خلال مشاركته في إيران في احتفالات سيبويه ، أن يسلك طريق شيراز / أصفهان ماراً في شعب بوان وكان أكثر ما استرعى انتباهه هو غزارة الماء وبرودته «نبع من الجبال» وكثافة الأشجار وتشابكها على الطريق . . . تماماً كما وصفها المتنبي .

شيراز - دير العاقول
٣٥٤هـ

هذه هي المرحلة الأخيرة من حياة المتنبي والسفرة الأخيرة له . اعتذر المتنبي من عضد الدولة واستأذن بالذهاب إلى الكوفة لقضاء بعض الأمور العائلية على أن يعود إليه في وقت لاحق بعد أن أنشده آخر قصائده وودعه «فدى لك من يقصر عن فداكا» .

يظهر أنه ترك زوجته في العراق ويريد أن يداوي ذلك الفراق بالرجوع .

قد استشفيت من داء بداء
وَأقْتَلُ ما أعلّك ما شفاكا

هنا يخاطب قلبه بأن سوف يجد الشفاء من بعد الأهل بالذهاب إليهم ولكن في هذا الشفاء داء فراق عضد الدولة . ثم يفصح :

وكم دون الثويّة من حزين
يقول له قدومي ذا بذاكا

والثويّة موقع يبعد ٣ أميال عن الكوفة (العكبري)

سلك المتنبي الطريق المعتادة من شيراز إلى بغداد . تجاوز الأهواز حتى وصل إلى واسط في أوائل شهر رمضان ٣٥٤ هـ ، وهذا يعادل أغسطس ٩٦٥م . يؤكد ذلك أن المتنبي كان لا يسري إلا في الليل خوفاً من هجير القائلة وشدة الحر . بقي في واسط قرابة خمسة عشر يوماً . يقال إن والي واسط نصحه وحذره من

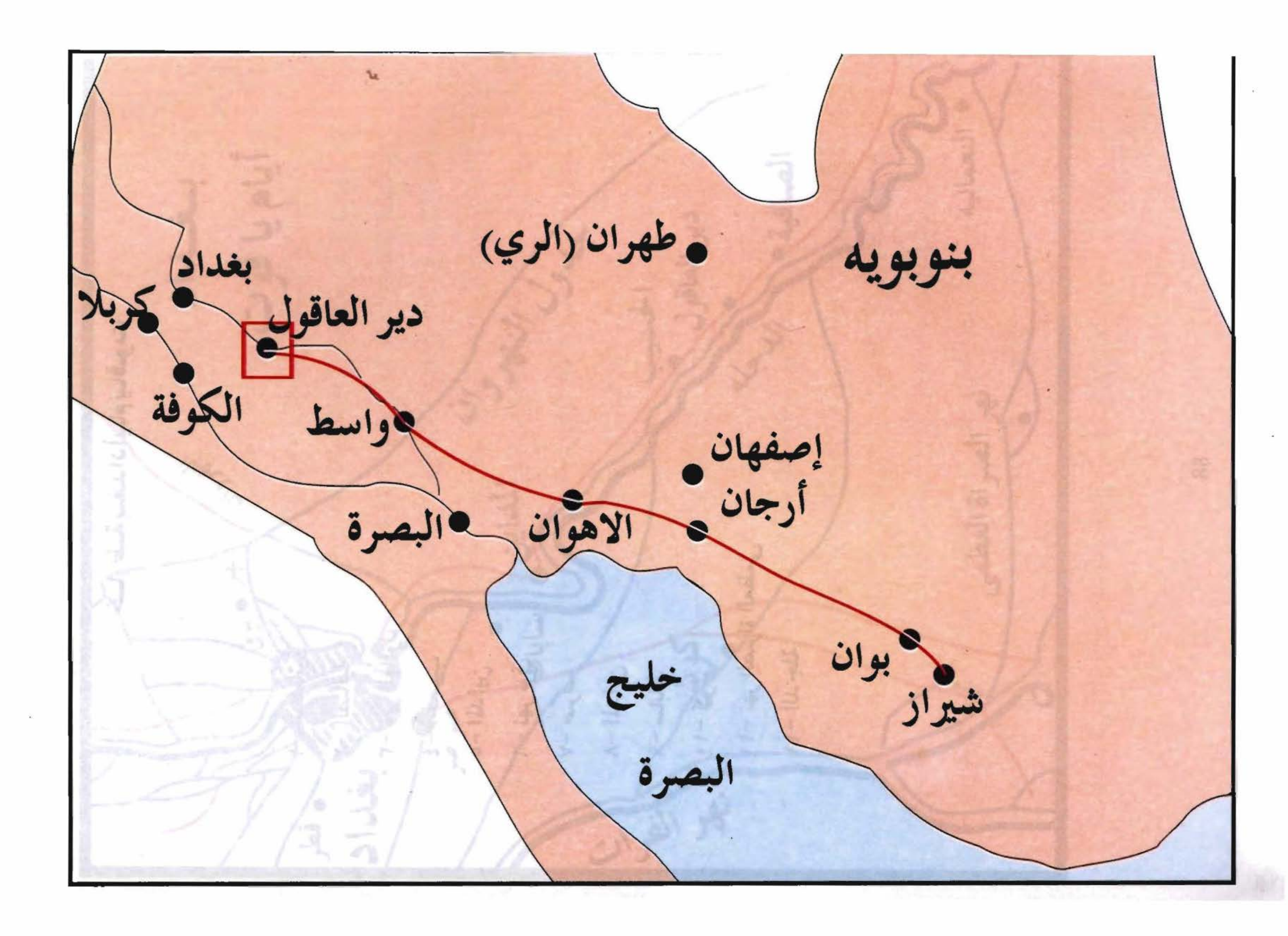
بني ضبة ومن بني أسد اللذين سبق للمتنبي إن هاجمهم بأفحش شعره ونصحه بأن يصحب معه ثلة من الحرس لحمايته . ويقال إن المتنبي رفض ذلك وهدد بأنه آمن لقربه من سيفه . وفي الأيام الأخيرة من رمضان من العام ذاته ، ترك المتنبي واسط متوجهاً إلى بغداد ماراً بعدة مواقع ، وفي يوم الأربعاء ٢٨ رمضان هاجمه قوم ضبة وقتلوه وقتلوا ابنه .

كانت المنطقة بين واسط وبغداد في ذلك الوقت قسماً من «سواد بغداد» عامرة بالسكان والزراعة ، ولكن الدمار والعبث الذي ألم بالعراق بعد الغزو المغولي قلص تلك المناطق . اختفت واسط كما اختفت كل المواقع ما بين النعمانية والمدائن (مدائن كسرى جنوبي بغداد) كالصافية ودير العاقول والحسيب . أعدت رسم الخارطة الثانية بترتيب من عبد الوهاب عزام بالإضافة إلى اجتهادي الخاص ونقلاً عن ياقوت الحموي في ذلك العصر عند ذكر بغداد وما جاورها .

خارطة العودة إلى الكوفة

٣٥٤هـ

١- شيراز
٢- بوان
٣- أصفهان
٤- أرجان
٥- الأهوان
٦- البصرة
٧- واسط
٨- دير العاقول
٩- بغداد
١٠- كربلا
١١- الكوفة


بنوبويه
طهران (الري)
بغداد
كربلا
دير العاقول
الكوفة
واسط
إصفهان
أرجان
البصرة
الاهوان
بوان
شيراز
خليج
البصرة

خارطة بغداد أيام ياقوت

١- النعمانية

٢- الصافية

٣- دير العاقول

٤- الحسيب

٥- المداين

٦- نهر بوق

٧- صرصر

٨- المداين

٩- ساباط

١٠- كوش

١١- نهر الصراة العظمى

١٢- الدجلة



بـغـداد
أيام يا قوت
النهروان
نهر
بوق
قطر
بغداد
صرصر
جدول النهروان
المداين
ساباط
الحسيب
دير العاقول
الدجله
الصافية
نهر الفرات
كوش
النعمانيه
نهر الصراة العظمى

ديوانه :

يكاد ديوان المتنبي أن يكون سجلاً كاملاً لحياته من الصبا حتى مقتله في دير العاقول عام ٣٥٤هـ . لقد رتبه بنفسه وأكمل قراءته حسب رواية معاصريه وشراحه في بغداد عام ٣٥٢هـ . كما قرأه كاملاً في شيراز في العام الذي قتل فيه . هناك خلاف بسيط حول الترتيب . من الشراح من اعتبر التسلسل التاريخي وبعضهم قال إن المتنبي لم يقم بذلك بل رتب الديوان حسب إقامته كالعراقيات والشاميات والكافوريات وأخيراً الفارسيات . أي أنه جمع قصائده جغرافياً ولكنه أعاد ترتيبها زمنياً لكل موقع . وهناك قول بأن المتنبي أعاد كتابة قصائده عندما تنقل في ديار الشام فحذف أبيات من لم يستحق مدحه وأضاف باقي القصيدة إلى أبيات جديدة إلى أمير آخر في زمن آخر . وتبقى الأسئلة التالية عن حياته .

نسبه (أمه) :

تحاشى المتنبي التعرض لعائلته المباشرة ونسبه . سكت عن جده ووالده وأفراد أسرته وتجنب إطراءهم في شعره أو الحديث عنهم . كل التهم التي ألصقت به من «ابن السقاء» إلى ادعاء «النبوة» إلى «الولادة غير الشرعية» التي ألصقت به في أواخر حياته وبعد وفاته من قبل حساده من ابن المهلب وشعرائه في بغداد إلى طه حسين . واستثني من ذلك مؤلفين هما شاكر والعريض . أثبت شاكر بما لا يقبل الشك بأن المتنبي كان من عائلة من أكابر العلويين في الكوفة أرسل إلى (بادية السماوة) لتستقيم لغته ويسلم نطقه . الأستاذ العريض يذهب إلى أكثر من ذلك فيقول إن الإمام المهدي في أثناء غيبته الصغرى تزوج

في الكوفة وأنجب المتنبي وماتت أمه فرعته جدته وكانت الوحيدة التي تعرف سره . ولما توفيت عام ٣٢٩هـ هرع المتنبي من عند ابن عمار لزيارتها في الكوفة فمنعه العلويون من الزيارة فعاد من بغداد . ويجمع كل رواة المتنبي بأن قصيدته «ألا أرى الأحداث مدحاً ولاذما» قد قالها في جدته .

هناك إجماع بأن الفكر العلوي بصورة عامة المؤمن بغيبة الإمام المهدي لم يقبل بهذا الابن . ويعتقد الأستاذ إبراهيم العريض بأن المتنبي هو الآخر لم يقبل بالفكرة ، فحورب المتنبي في العراق وسوريا مما دفعه إلى إخفاء عائلته ونسبه . كنت أبحث في ديوان المتنبي عن المواقع والأماكن التي ذكرها في ديوانه فعثرت على هذا البيت :

أمنسيَّ السُّكُونَ وحضرموتا
ووالدتي وكندة والسَّبِيعَا

يقول المتنبي بأن الممدوح التنوخى قد أنساه والدته والسكون وحضرموت وكندة والسبيع (الأسماء الأربعة هي مواقع العائلات اليمانية التي سكنت الكوفة) والتي كانت فيها ذكرى شبابه و «تجرير ذيوله» . قبل أن يتوفى الأستاذ إبراهيم العريض بيوم واحد كنت أتناقش معه حول هذا الموضوع ، وكان رحمه الله يصر بأن والدته هي جدته في هذا البيت ، حسب رواية المؤرخين والأدباء . قلت له :

لئن لذ يوم الشامتين بموتها
لقد ولدتْ منّي لأنفِهم رَغْمَا

فهل كان هذا ذلك الرثاء الجارف في جدته أم في أمه التي توفيت عام ٣٢٩هـ؟ هل كانت التي «ولدت مني» أمه الطبيعية أم أنها الأم الرمزية

«الجدة» . المتنبي يقول «أنا في أمة» ونحن نتحدث عن «أمة محمد» والكتاب يشير إلى «أمة قد خلت» بالمعنى المجازي للكلمة . ولكن «الوالدة» لها معنى واحد خاص بها .

أنا فقط أطرح السؤال ، لا أملك المقدرة أو الخبرة اللازمة للجواب . وحتى هذا الكتيب ليس مطالباً بإعطاء الجواب الشافي ، فهو لا يعدو كونه أطلساً لرحلات المتنبي و لا أريد له أن يتجاوز ذلك الأفق .

زواجه

هل تزوج المتنبي؟ ديوانه لا يعكس ذلك بصورة واضحة . إذا كان له ابن يدعى محسد قتل معه وعمره ٣٠ عاماً . فمعنى ذلك أن محسداً قد ولد في العام ٣٢٤هـ . وكان المتنبي حينها قد عاد إلى الكوفة بعد سجنه . هل زوّجته جدته كما يعتقد محمود شاكر ما بين عام ٣٢٣هـ - ٣٢٦هـ قبل أن يتوجه إلى الشام؟ هناك عدة أبيات في مدح عضد الدولة ربما تزيد عاطفة عن الغزل الاعتيادي .

شاميةٌ طالما خلوتُ بها
تُبصر في ناظري محياها
أحب حمصاً إلى خناصرة
وكل نفس تحب محياها
حيث التقى خدها وتفاح لبـ
ـنان وثغري على حميّاها

خُناصرة قرية ملتصقة بمدينة حلب .

يقال إنه ودع عضد الدولة وقال إنها لزيارة أهله في الكوفة .

وكـــم دون الـثَّــــوية مـــن حـــــزيـن
يـقـــول لـــه قـــــدومـــي ذا بــذاكـــا

أرجح الأقوال أنه تزوج في العراق وترك عائلته في الكوفة . أو أنه تزوج عندما كان بقرب سيف الدولة! ولم يأخذ أحداً معه إلى مصر . ثم أنه عاد إلى الكوفة قرب زوجته واصطحب معه ابنه محسداً في زيارته الأخيرة إلى بغداد وشيراز .

هل هناك زوجة ثانية للمتنبي في الشام؟ أم أن زوجته الوحيدة كانت «أم محسد»؟ التاريخ ساكت عن ذلك .

ابـــنـــهُ مُحـــسّـــد :

جاء ذكر « مُحسّد» في شرح أوائل الشراح ومعاصري المتنبي ولكن شعره (شعر المتنبي) لا يعكس ذلك مطلقاً . وفي رواية أن محسداً عاد إلى موقع القتل ليأخذ بعض الكتب فقتل بعد والده . ولا أدري من روي الحادث؟؟ ومن روى قصة خادمه مفرح الذي قال له كيف تهرب وأنت القائل «الخيل والليل . . .» فعاد ليقاتل حتى قتل وقتل خادمه وابنه ، شاكر يقول إن محسد بلغ ٣٠ عاماً عندما قتل (من مواليد ٣٢٤هـ) بلايشير يقول إنه من مواليد ٣٣٨هـ عندما التحق بسيف الدولة وأنه قتل عندما كان صبياً .

هل تزوج المتنبي مرتين؟ وهل كان ابنه من الزوجة الأولى أم أنه من الثانية؟

أخـــته وأخـــوه

هناك رواية عن أخ ضرير له في الكوفة لم يشر إليه الديوان . وهناك رواية

عن أوائل من كتب عن المتنبي (ابن العديم) وكان معاصراً للمتنبي تقول بأن أخته قد رثته بعدّة أبيات منها :

يا حازم الرأي إلا في تهجمه
على المكاره غاب البدر في الطفَل
الأرض أم أصبناها بواحدها
فاسترجعته وردته إلى الحبل

تاريخ وفاته

قتل المتنبي في موقع مختلف على تحديد وقته قرب دير العاقول (انظر الخارطة) ويقال إنه لم يدفن إلا بعد قتله بعدة أيام . وهذا يؤدي عادة إلى الاختلاف على اليوم . أنا أميل إلى أن أصح الأقوال (تحقيق شاكر) هو يوم الأربعاء ٢٨ رمضان ٣٥٤ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ٩٦٥م . هناك تفاوت بسيط حول تاريخ أيامه الأخيرة تحتاج إلى تحقيق وإعادة ترتيب .

لا خلاف بأنه أنشد عضد الدولة ثم ودعه بآخر قصائده «فدى لك من يقصر عن مداكا» في شهر شعبان ٣٥٤هـ . فالرواة تتحدث عن أول شعبان أو أوائل شعبان وبعضهم حدد سفره بـ ٨ شعبان وبعضهم قال ١٥ شعبان ، والأرجح هو ٨ شعبان .

ولد هلال شعبان صباح الإثنين يوم ٧/٣١ من ذلك اليوم ولذا فإن الحادي من شعبان في ذلك العام هو أيضاً يوم الثلاثاء أول أغسطس عام ٩٦٥ . ومعنى ذلك أنه أنشد قصيدته الأخيرة في عضد الدولة ما بين ٨ - ١٥ أغسطس عام ٩٦٥ . يؤكد ذلك ما يروي بأنه كان يسير في الليل بدلاً من هجير القائلة والحر .

تقول سيرة المتنبي أنه مر بمدينة واسط يوم السبت ١٥ رمضان وقد استخرجت من برنامج / الكمبيوتر الفلكي ، أن أول شهر رمضان هو يوم

الخميس ٣١ أغسطس . ولذا فإن ١٥ رمضان يصادف فعلاً السبت ١٥ سبتمبر منذ ذلك العام .

ولو سرنا وفي تشرين خَمُسُ
رأوني قبل أن يرو السِّماكا

سوف نعود إلى هذا البيت . ولكن السماك من نجوم برج العذراء (السنبلة) وتشرق في الخريف .

ويوجد خلاف حول مماته حسب رأي مؤرخيه أجمله فيما يلي :

قتل يوم	٢٧	رمضان
قتل يوم الأثنين	٦	ليالي بقين من رمضان
قتل يوم الأربعاء	٢٨	رمضان
قتل يوم الأربعاء		ليلتين بقين من رمضان

ولذا أسجل الترتيب الفلكي للأسبوع الأخير من ذلك الشهر :

رمضان ٣٥٤ (سبتمبر ٩٦٥)

هناك تفاوت يوم واحد سببه الخلاف الشائع على مولد الهلال وثبوت رؤيته .

الشهر	الأحد	الإثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
رمضان	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	عيد الفطر
سبتمبر	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩

يتـضح من الجـدول أعـلاه بأن المتنبي قـد قـتل مـا بين يوم الإثنين والأربعاء(٢٥-٢٧) سبتمبر ٩٦٥م ولا ننسى بأن هناك عادة خلاف يوم على ثبوت رؤية الهلال وأنه قتل وفر قاتلوه ، وأنه جاء من يدفنه بعد عدة أيام .

الأمــاكــن

تركت أشعار المتنبي بصماتها على إيران والعراق والأناضول وديار الشام ومصر وجزيرة العرب .

وقد أحصيت ما ينوف على ١٢٥ اسماً وموقعاً في أشعاره تشمل دياراً كمصر وفارس وبلد الروم وهناك المدن العريقة كبغداد وحلب والفسطاط ودمشق إلى جانب المدن الأثرية التي اختفت كأرجان و واسط .

هناك الجبال والممرات و المفازات والوديان والأنهار منها ما احتفظ بنفس الأسماء ومنها ما تغير ولا سيما ما أصبح في تركيا الحديثة . جمعت كل ذلك في آخر الكتاب لفائدة القارئ لا كفهرست لكتاب بل سجل مختصر للموقع والبيت الذي ورد فيه الموقع . ذكر المتنبي مصر والروم وحلب في ما ينوف على ١٠ أبيات من شعره وذكر خمسة مواقع في بيت واحد في ذلك الفهرست .

من المؤكد بأن المتنبي لم يمر أو يزر كل المواقع التي ذكرها أو استشهد بها في شعره . هناك أماكن في نجد والقصيم والحجاز واليمن والسودان وإيران لم يزرها المتنبي ، وإنما استشهد بها . ويعكس كل ذلك بطبيعة الحال عمق ثقافته وواسع علمه .

* أثْلةَ - موقع يقع على أربعة مراحل من الكوفة

دَرَّ دَرَّ الصبا أأيام تجر
ير ذيولي بدار أثْلَة عُودي

* الأحيدب - الهضبة التي بنيت عليها قلعة الحدث

نثرتهم فوق الأحيدب كله
كما نثرت فوق العروس الدراهم

* أرجان - مدينة أثرية بين بهبهان وشيراز

رجونا الذي يرجون في كل جنة
بِأَرْجانَ حتى ما يئسنا من الخلْدِ
أرجان أيتها الجياد فإنه
عزمي الذي يذر الوشيح مكسرا

* الأردن - نهر الأردن أو جند الأردن

وقعت على الأردنّ منهُ بَلَّيةٌ
نُضِدَتْ بِهَا هَام الرّفاق تُلولا
وما صغر الأردن والساحل الذي
حبيت الا إلى جنب قدرك

* أرسناس - نهر يصب في شمالي الدجلة

وجاوزوا أرسناساً معصمين به
وكيف يعصمهم ما ليس ينعصم

حتى عبرن بأرسناس سوابحا

ينشرن فيه عمائم الفرسان

* أرك - قرية على الفرات - مدخل إلى ديار الروم

ومال بها على أرك وعرض

وأهل الرقتين لها مزار

* أعكش - مكان بين البصرة والكوفة قريب من البصرة

فيا لك ليلاً على أعكْش

أحمَّ البلاد خفيٍّ الصُّوَى

* آمد - مدينة شمالي شرقي حلب وشرقي مرعش

سريت إلى جيحان من أرض آمد

ثلاثا لقد أدناك ركض وأبعدا

عصفن بهم يوم اللُّقان وسُقْنهُمْ

بهنريط حتى ابيضّ بالسبي آمدُ

أآمد هل ألم بك النهار

قديما أو أثير بك الغبار

* إنطاكية - في تركيا اليوم

لما أقمتَ بإنطاكيّة اختلفت

إليّ بالخبر الرُّكبان في حلبا

حجّبتها عن أهل إنطاكية

وجلوتها لك فاجتليت عروسا

منذ أحببت بإنطاكية اعتدلت

حتى كأن ذوي الأوتار في هدف

* الأهواز - المنطقة العربية في إيران

تقضم الجمر والحديد الأعادي

دونه قضم سكّر الأهواز

* بابل

ما نال أهل الجاهلية كلهم

شعري ولا سمعت بسحري بابل

* بارق - قرية قرب الكوفة

تذكرت ما بين العذيب وبارق

مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

* البحيرة (طبرية)

لولاك لم أترك البحيرة وال

غور دفيء وماؤها شبمُ

ورد إذا ورد البحيرة شاربا

ورد الفرات زئيره والنيلا

* البُدية - ماء قريب إلى العمارة في العراق

فأمستْ بالبُديّة شفرتاه
وأمسى خلف قائمهِ الحيارُ

* بُسيطة - مفازة بين تبوك والجوف في الجزيرة العربية

وجابت بسيطة جوب الردا
ء بين النعام وبين المها
بُسيطةُ مَهْلا سقيت القطارا
تركت عيون عبيدي حيارى

* البصرة

وتولى بني اليزيدي بالبصرة
حتى تمزقوا في البلاد

* بغداد

وأنّ من بغداد دار له
ليس مقيما في ذرى عَضْبِهِ

* بغداذ

سدت عليه المشرفية طرقه
فانصاع لا حلبا ولا بغداذا

* بلبيس

جزى عربا أمست ببلبيس ربها

بمسعاتها تقرر بذاك عيونها

* بوان - وادي قريب من شيراز وجده الأستاذ إبراهيم العريض كما وصفه المتنبي

يقول بشعب بوّانٍ حصاني :

أعن هذا يُسار إلى الطّعَانِ

* البويرة - موقع في الجزيرة العربية (انظر الخارطة)

روامي الكفاف وكبد الوهاد

وجار البويرة وادي الغضى

* البييضة - هذا الموقع والأسماء الأخرى مياه في البادية

وقد نزح الغوير فلا غوير

ونِهيا والبييضة والجفار

* التيه - هضبة التية «تاه فيها بنو اسرائيل» غربي العقبة في سيناء

ضربت بها التيه ضرب القما

ر إما لهذا وإما لذا

* تـدمـر

وليس بغــيــر تدمـر مُـســتــعـاث
وتـدمـر كــاســمــهــا لـهمُ دمـار
فليت أبا الهــيــجــا يـرى تدمـــر
طِوال العـوالى في طِول الســمــالق

* تـربان - نبع ماء بعينه؟ تربان موقع قريب من النقاب في الأردن شمال العقبة يبعد ٢٠ كيلومتر عنها

وقلنا لــهــا أيــن الأرض العـــراق
فــقــالـت ونـحـن بتـــربـان : هــا

* تـل بطـريـق - مدخل جبلي إلى هضبة الأناضـول

كــتـل بطريق المغــرور ســاكـنهــا
بـأن دارك قِـنـســريــن و الأجــمُ
قــاســمــتــهــا تلّ بطـريق فكان لهـا
أبــطــالـهــا ولك الأطفـــال الحُـرَمُ

* تـهـامـة - الساحل البحـري للحجـاز واليمـن

مـن كل أكــبــر مـن جــبــال تـهـامـة
قـلبــاً ومــن جــود الـغــوادي أجــود

* ثبير - أكد الأمير سلمان بن عبد العزيز بأنه جبل من جبال مكة الشرقية قريب من جبل ثور استشهد به أحد شراح المتنبي

* ثمود - موقع في اليمن سكنه قوم صالح

أنا في أمة تداركها اللـ
ـه غريب كصالح في ثمود
وفي جود كفّك ما جدت لي
بنفسي ولو كنت أشقى ثمود

* الثوية - موقع قريب من الكوفة

وكم دون الثوية من حزين
يقول له قدومي ذا بذاكا
وليلا توسدنا الثوية تحته
كأن ثراها عنبر في المرافق

* الجَبَاة - موقع ما بين تدمر والصحصحان في بادية الشام

ومروا بالجَبَاة يضم فيها
كلا الجيشين من نقعٍ إزارُ

* الجراوي - موقع في الجزيرة العربية

إلى عقدة الجوف حتى شفت
بماء الجراويّ بعض الصدى

* الجزيرة المنطقة الشمالية ما بين الدجلة والفرات

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر
فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

* الجفار - نبع ماء في صحراء السماوة

وقد نزح الغوير فلا غوير

ونِهيا والبُييضة والجِفارُ

* جِلّق - دمشق

يُغير بها بين اللُّقان وواسط

ويركزها بين الفرات وجِلّقٍ

* الجميعى موقع مر به المتنبي في الجزيرة

ومسّى الجُميعيّ دئداؤها

وغادى الأضارع ثم الدّنا

* الجوف - عاصمة الجوف اليوم - دومة الجندل

إلى عقدة الجوف حتى شفت

بماء الجراويّ بعض الصدى

* جيحان - نهر في تركيا يصب في المتوسط

سريت إلى جيحان من أرض آمد

ثلاثا لقد أدناك ركض وأبعدا

* الحدث - قلعة شمال حلب

هل الحدث الحمراء تعرف لونها

وتعلم أي الساقيين الغمائم

* الحرم - مكة المكرمة

ابن المعفّر في نجد فوارسها
بسيفه وله كوفان والحرم

* حسمى - هضبة حسمى تمتد من الأردن حتى تبوك (تَلفظ حِ)

وهبت بحسمي هبوب الدبو
ر مستقبلات مهب الصبا
مررنا منه في حِسمى بعبد
يمُجُّ اللؤم مَنخرُهُ وفُوهُ

* حران - بلد شمالي الموصل ما بين النهرين

والنقع يأخذ حرانا وبقعتها
والشمس تسفر أحياناً وتلتثم
وما هي إلا خطرةٌ عرضت له
بحران لبتها قناً ونصول

* حضرموت - السكوت وكنده والسبيع كلها مواقع في الكوفة وكناس السكوت تروي الكناس عند الواحدي

أمنسّي السكوت وحضرموتا
ووالدتي وكندة والسبيعا

* حلب

أرى العراق طويل الليل مذ نعيت

فكيف ليل فتى الفتيان في حلب

وما قست كل ملوك البلاد

فدع ذكر بعضٍ بمن في حلب

لما أقمت بإنطاكية اختلفت

إلى بالخبر الركبان في حلبا

رمى حلبا بنواصي الخيول

وسُمْر يُرِقْنَ دما في الصعيد

سدت عليه المشرفية طرقه

فانصاع لا حلبا ولا بغداذا

وعدت إلى حلب ظافراً

كعَود الحُليٍّ إلى العاطل

على الفرات أعاصير وفي حلب

توحُّشٌ لُملقى النصرمقتبل

وظنهم أنك المصباح في حلب

إذا قصدّتَ سواها عادها الظُّلَمُ

كلما رحبت بنا الروض قلنا

حلب قصدنا وأنت السبيل

* حضن - جبل في نجد «أنجد من رأى حضنا»

فمر وأدمِ تطع قُدستَ من جَبَل

تبارك الله مُجري الروح في حَضَنِ

* حمص

أحب حمصا إلى خناصرة

وكل نفس تحبُّ مَحْيَاها

وإذا كان أعجبكم عامكم

فعودوا إلى حمص من قابِلِ

إذا خلت منك حمص لا خلت أبدا

فلا سقاها من الوسميٍّ باكِرُهُ

* الحيار - نبع ماء في بادية السماوة

فأمست بالبُديّة شفرتاه

وأمسى خلف قائمهِ الحيارُ

* حيران - موقع ماء قرب سلمية في سوريا

وليتك ترعاني وحيرانُ مُعْرِض

فتعلم أنى من حسامك حَدُّهُ

* الخابور - مدينة على الفرات الأعلى و نهر الخابور يصب في الفرات

فهم حِزَق على الخابور صرعى

بهم من شرب غيرهم خُمَارُ

* خرشنه - مدينة شمالي حلب في تركيا اليوم (وكانت حصنا أيام المتنبي)

حـــــتى أقـــام على أرباض خـرشنة

تشـقــى بهـا الروم والصلبـانُ والبــيعُ

جـــاز الدروب إلى مــا خلف خــرشنةٍ

وزال عـنهـــــا وذاك الـروعُ لــم يَـــزُلِ

* الخَـط - بالفـتح مـوقع قـيل في اليـمـامـة تقـوم بـه الرمـاح وقـال ياقوت «ومن قرى الخط القطيف والعقير وقطر» وأقول بأن جميع هذه في سيف البحرين

تَـحُـــول رمـــاح الخط دون سِـــبـــائـه

وتُـــسـبى لــه مــن كـل حيٍّ كـرائـمـهْ

* الخـليـج - خلـيـج القسطنطيـنـية

فـــإن يــقــدم فــقـــد زرنـا سـمـندو

وإن يحــجـــم فـــمـــوعـده الخـلـيج

* دمـــشـــق

مــبـــيـــتـي من دمـــشق علـى فـراش

حـــشـــاه لـي بـحـر حـــشـــاي حـــاشِ

ولـو كـــــانت دمــــشق ثَنَى عِـنــانــي

لَبِـيـقُ الـثُّـردِ صـيـنـيُّ الجِـــفَــــانِ

* دَلُـــوك - مـوقـع فـي شمـال نـهـر العـراق

فـلـمـــا تـجلى من دَلُوكٍ وصنجـــة

عــلـتْ كــلَ طَـــودٍ رايـةٌ ورعَـــيـل

* الدنا - موقع في شمال الجزيرة العربية

ومسّى الجُميعى دئداؤها
وغادى الأضارِع ثم الدنا

* ديار بكر - عاصمة الأناضول (شرقي تركيا) اليوم

فلا حيا إلا له ديار بكر
ولا روت مزارعها القطار

* الرّان - حصن للروم على الطريق في شرقي تركيا

فكأن أرجلها بتربة مَنْبِج
يطرحن أيديها بحصن الرّانِ

وبتن بحصن الران رزمى من الوجى
وكل عزيز للأمير ذليل

* الرقّتين - موقع على الفرات - من الممرات إلى بلاد الروم وهو غير «الرقمتين» الموقع شمالي المدينة المنورة الذي خلده زهير ابن أبي سلمى «ودار لها بالرقمتين»

ومال بها على أرك وعرض
وأهل الرقّتين لها مزار

* الرملة - في فلسطين المحتلة اليوم وكانت عاصمة جند فلسطين

إذا السحاب زفته الريح مرتفعاً
فلا عدا الرملة البيضاء من بلد

* الرهيمة موقع بـين الجـوف والكـوفـة

ورِدنـا الـرُّهـيـمـة فـي جـوزه
وبـاقـيـهِ أكـثـر مـمـا مـضـى

* الـروس

وكـيـف تُرجَّى الرومُ والروسُ هدمـهـا
وذا الطعن أسـاس لهـا ودعـائـم

* الروم - تعني ما وراء حدود الدولة الحمدانية

يـدبر الملك من مـصـر إلى عـدن
إلـى العـراق فـأرض الروم فـالنـوب
وأشـقـى بلاد الله مـا الروم أهلهـا
بـهـذا ومـا فـيـهـا لمجـدك جـاحـد
أو حل في روم فـفـيـهـا قـيـصـر
أو حـل فـي عـرب فـفـيـهـا تـبع
حـتى أقـام عـلى أرباض خـرشـنه
تـشـقـى بـه الروم والصلبـان والبـيـع
وقـد علـم الروم الشـقـيـون أننـا
إذا مـا تـركـنـا أرضـهـم خلفنا عـدنـا
فـيـومـاً بخـيـلٍ تطرد الروم عنـهـم
ويومـاً بـجـود يـطرد الفـقـر والجـدبا
ترينا صناع الروم فـيـهـا ملوكـهـا
وتجـلو علينا نفـسـهـا وقـيـانـهـا

فنحن في جـــذل والروم في وجل
والبـر في شـغل والبحـر في خجـل

وكـيف ترجى الروم والروس هدمه
وذا الطعن آساس لها ودعائم

إذا زار سـيف الدولة الروم غـازياً
كـفـاها لمام لـو كفـاه لمـام

أنت طول الحـيـاة للروم غاز
فمتى الوعد أن يكون القفول

وسوى الروم خلف ظهـرك روم
فـعلى أي جانبيك تـميل

* الزنج - جبل في السودان أو ساحل إفريقيا . . . والله أعلم
يؤكد الطيب صالح بأنه لا يوجد جبل الزنج في السودان
والموضوع يحتاج الى متابعة .

* سابور - ممر جبلي بين الدولة الحمدانية والروم
وألحـقنّ بالصفاف سابور فانهوى
وذاق الردى أهلامها والجلامد

* السبيعا - حي في الكوفة تسكنه قبائل اليمن
أمـنسيًّ السُّكُونَ وحضرموتا
ووالـدتي وكـندة السَّبِيعَا

* السكون - حي في الكوفة تسكنه قبائل اليمن

أمنسيَّ السُّكُونَ وحضرموتا
ووالدتي وكندة السَّبِيعَا

* سلمى - جبل في القصيم

فوحش نجد منه في بلبال
يخفن في سلمى وفي قِيال

* سلمية - مدينة شمالي شرقي حمص

تثير على سلمية مسبطرا
تناكر تحته لولا الشعارا

* السماوة - بادية السماوة أو صحراء السماوة

إذا سلك السماوة غير هاد
فقتلاهم لعينيه منار
تركنا من وراء العيس نجدا
ونكّبنا السماوة والعراقا
فذكّرتهم بالماء ساعة غبَّرت
سماوة كلب في أنوف الحزائق

* سمندو - يعني بالخليج خليج القسطنطينية يقال أنها بلغراد اليوم

فإن يقدم فقد زرنا سمندو
وإن يحجم فموعده الخليج

* سمنين - بحيرة سمنين على الطريق من اللقان إلى ديار الروم

حتى وردن بسمنين بحيرتها
تنش بالماء في أشداقهن اللجم
وفي بطن هنريط وسمنين للظبى
وصم القنا ممن أبدن بديل

* سميساط - بلد على الفرات الأعلى في الطريق إلى بلد الروم

ودون سميساط المطامير والملا
وأودية مجهولة وهجول

* سيحان - نهر تركي يصب في المتوسط

أخو غزوات ما تُغِبُّ سيوفه
رقابهم إلا وسيحانُ جامدُ

* شاش - بلد وراء النهر في «كردستان»

أتى خبر الأمير فقيل كَروّا
فقلت نعم ولو لحقوا بِشَاشِ

* الشام - سوريا الكبرى أو بلاد الشام

وقد أوحشت أرض الشام حتى
سلبت ربوعها ثوب البهاء

* الشرى - منطقة قريبة من حلب يكثر فيها الأسود والسباع

فإلا تكن مصر الشرى أو عرينه
فإن الذي فيها من الناس أسده

فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى
ليث الشرى وهو من عجل إذ انتسبا

* الشغور - موقع قريب من الكوفة

ولاح لها صور والصباح
ولاح الشغور لها والضحى

* الصحصحان - قرية في منتصف المسافة بين حلب وتدمر

وصفت فيها مصيف بادية
شتوت بالصحصحان مشتاها

وجاؤوا الصحصحان بلا سروج
وقد سقط العمامة والخمار

* الصراة - نهر يتشعب ويمر بالموصل

أو ما وجدتم في الصراة ملوحة
مما أرقرق في الفرات دموعي

* الصفصاف - قرية على الفرات الأعلى (ممر إلى بلد الروم)

وألحـقن بالصـفـصـاف سـابور فـانهـوى
وذاق الـردى أهــلاهــمـا والجــلامــد

* صفين - مدينة على الشاطئ الأيسر من نهر الفرات ودارت فيها معركة صفين المشهورة
أو مـا تـرى صـفـين كـيف أتيـتـهـا
فـأجـاب عنـهـا العـسـكـر الفـرتـي

* صـنـجـة - نهر قـرب ديـار بـكـر يـصب في دجـلـة
فلـمـا تجلى من دلـوك وصـنـجـة
عـلـت كـل طـود رايـة ورعـيـل

* صـور - المـديـنة اللـبـنـانـية
تـهـنّا بـصـور أم نـهـنئـهـا بـكـا
وقـلّ الـذي صُـورٌ وأنـت لـهُ لـكـا

* الطـور - طـور سينا جبل في سـيناء حيث كلم الله مـوسى (ع)
خـرجـوا به ولـكـل باك حـولـه
صـعـقـات مـوسى يوم دُكّ الـطـور

* طـرابـلـس
أكـارم حـسـد الأرض الـسـمـاء بهم
وقـصـرت كـل مـصـر عـن طرابـلـس

* طرسوس - مدينة قرب أضنه (تركيا) هي ليست طرطوس الحالية .

صدق المُخبِّر عنك دونك وصفُه

من بالعراق يراك في طرسوسا

* الطرم - جبل شمال الشام؟

ما كانت الطرم في عجاجتها

إلا بعيرا أضله ناشد

* ضُمير - مدينة شمالي شرقي دمشق

لئن تركن ضميرا عن ميامننا

ليحدثن لمن ودعتهم ندم

* عدن

يدبر الملك من مصر إلى عدن

إلى العراق فأرض الروم فالنوب

* العراق

وقلنا لها أين أرض العراق

فقالت ونحن بتربان : ها

أرى العراق طويل الليل مذ نعيت

فكيف ليل فتى الفتيان في حلب

يدبر الملك من مصر إلى عدن

إلى العراق فأرض الروم فالنوب

تركنا من وراء العيس نجدا
ونكبنا السماوة والعراقا
كيف لا تأمن العراق ومصر
وسراياك دونها والخيول

* العراقين - تعني عراق العرب والعجم
فلا عدمت أرض العراقين فتنة
دعتك إليها كاشف البأس والمُحْلِ
دون أن يشرق الحجاز ونجد
والعراقان بالقنا والشام

* عرض - قرية على الفرات الأعلى - مداخل لبلاد الروم
ومال بها على أرك وعرض
وأهل الرقتين لها مزار

* العذيب - موقع في الكوفة
تذكرت ما بين العذيب وبارق
مجر عوالينا ومجرى السوابق

* العواصم (حلب، حماة، حمص) وقيل مدن حول إنطاكية
لتعلم مصر ومن بالعراق
ومن بالعواصم أنى الفتى

تنفس والعواصم منك عشر
فتعرف طيب ذلك في الهواء
تشرف عدنان به لا ربيعه
وتفتخر الدنيا به لا العواصم
فأصبح بالعواصم مستقراً
وليس لبحر نائله قرار

* الغور - وادي الأردن من طبريه إلى البحر الميت
لولاك لم أترك البحيرة وألـ
ـغور دفيء وماؤه شبم

* الغوير - مكان شمالي هضبة حسمى
وقد نزح الغوير فلا غوير
ونهيا والبيضة والجفار

* فارس
حمى أطراف فارس شمّريٌّ
يحض على التباقي بالتفاني
نحن في أرض فارس في سرور
ذا الصباح الذي يرى ميلاده
إذا ما نظرت إلى فارس
تحير عن مذهب الراجل

* الفـــرات

وأجـــــفـل بالفـرات بنو نـمـــيـــر
وزأرهـــــم الـذي زأروا خـــــــوار

ورد إذا ورد البـــحـــيـــرة شـــاربا
ورد الـفــرات زئـــيـــره والـنـيـــــلا

أرى دون مـــا بين الـفـــرات وبـرقـة
ضـرابـا يمشـي الخـيل فـوق الجـمـاجـم

يغـــيـــر بهـــا بين اللُّقـان وواسـط
ويـركـــزهـا بـين الـفــرات وجــلــق

على الفــرات أعــاصـيــر وفي حلب
توحش لملقـى الـنـصـر مـقـتــبـــل

ورعـن بـــهـــا قلب الفـرات كـــأنما
تخـــر عليـه بالرجـال ســـيـــول

* الفراديـــس - مــكان قريــب مــن قنسرين وحــلـب

أجـــارك يا أســـد الفـــراديس مكـرم
فـتسكـن نفـسي أم مـهـان فـمسلم

* الفـــرس (إيـــران)

إن حل فـــي فـــرس فـــفـــيـهـــا ربهـــا
كـــسـرى تذل لـــه الرقـاب وتخـضـع

* الفسطاط - عاصمة مصر القديمة

ولكن بالفسطاط بحرا أزرته
حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

أبلى الأجلّة مُهري عند غيركمُ
وبدل العذر بالفسطاط والرّسنُ

إذا سرنا عن الفسطاط يوماً
فلقّني الفوارس والرجالا

لئن مر بالفسطاط عيشي فقد حلا
بعبد العزيز الماجد الطرفين

* قباقب - نهر يصب في دجلة في تركيا اليوم

وأضعفن ما كُلِّفنه من قباقب
فأضحى كأن الماء فيه عليل

* القُلّة - ممرّ جبلي من سهول ديار بكر إلى هضبة الأناضول

لقيت بدرب القُلّة الفجر لقيةً
شفت كمدي والليل فيه قتيل

* كبد الوهاد - موقع بين حسمى والبسيطة في شمالي الجزيرة العربية

روامى الكفاف وكبد الوهاد
وجار البويرة وادي الغضى

* الكفاف

روامى الكفاف وكبد الوهاد
وجار البويرة وادي الغضى

* كفر عاقب - موقع جنوب دمشق

أتاني وعيد الأدعياء وأنهم
أعدوا لي السودان في كفر عاقب

* كرخ أيا - قرية على الدجلة شمال العراق مدخل إلى بلد الروم

طلب الإمارة في الثغور ونشؤه
ما بين كرخايا إلى كلواذا

* كوتكين - قرية شمال شرقي سلمية (أسر فيها المتنبي)

زعم المقيم بكوتكين بأنه
من آل هاشم بن عبد مناف

* كلواذا - قرية على الدجلة شمال العراق

طلب الإمارة في الثغور ونشؤُهُ
ما بين كرخايا إلى كَلْوَاذَا

* كوفان - الكوفة

ابن المعفر في نجد فوارسها
بسيفه وله كوفان والحرم

* كندة - حي من أحياء الكوفة

أمنسيّ السُّكُون وحضرموتا
ووالدتي وكندة والسَّبِيعَا

* لبنان

وعقاب لبنان وكيف بِقَطْعِها
وهو الشتاء وصيفهن شتاء
حيث التقى خدُّها وتفاح لـ
بنان وثغري على حُمَيَّاها

* اللاذقية

وحام بها الهلاك على أناس
لهم باللاذقية بغيُ عاد
وحفيف أجنحة الملائك حوله
وعيون أهل اللاذقية صور
لك الخير غيري رام من غيرك الغنى
وغيري بغير اللاذقية لاحق

* اللقان - ممر إلى بلد الروم قرب الدجلة

وهل رد عنه باللُّقان وقوفه
صدور العوالي والمطهمة القبّا
عصفت بهم يوم اللُّقان وشفتهم
بهنريط حتى ابيض بالسبى آمد

يذرى اللُّقــان غــبــاراً في مناخــرها
وفــي حناجــرهــا مـــن آلــسِ جُـــرَعُ
فــقــد بردت فـــوق اللُّقــان دمــاؤهم
ونحــن أناس نتبــع البـــارد السـخـنـا
يغـيـــر بهـــا بيــن اللقـــان وواســط
ويركـــزها بيــن الفـــرات وجِـلـــق

* مـرعـش - هـي اليـوم مراس في تركـيـا شـمـال حـلـب (كـانـت حصـنا)

أتـى مـرعـشـا يسـتـقـرب البـعـد مـقـبـلا
وأدبـــر إذ أقـبـلت يـسـتـبـعـد القـربـا
كـفـى عـــجـبـــا أن يعـــجـب الناس أنه
بنى مـــرعـــشـــا تبّـا لآرائـــهـم تبّـــا
لبس الدجى فـيـهـا إلى أرض مـرعش
وللروم خــطـب فــي البـلاد جـلـيـــل

* مـصـــر

لتـــعـــلـــم مـــصـــر ومـــن بالعـــراق
ومـــن بالعـــواصـــم أنـــى الفـــتـــى
ومـــاذا بمصـــر من المضــــحـــكـات
ولكـنـــــه ضـــحـــك كـــالبـــكـا

يدبـــر الملك من مـــصـــر إلى عـدن
إلــى العــراق فــأرض الــروم فــالنــوب
أكلمــا اغــتــال عــبـدالســوء سـيـده
أو خـــانــه فلــه فــي مـصـرتمهــيــد
نامت نواطيــر مــصــر عن ثعــالبــهــا
فــقــد بشــمـن ومـا تفـنـى العنـاقـيـد
فــإلا تكن مــصــر الشــرى أو عــرينه
فــإن الذي فــيـهـا مـن النـــاس أُسْــدُهُ
فلو لم تكن في مـصـر ماسـرت نحـوها
بقلب المشـوق المسـتـهـام المتــيــم
أقـــمت بأرض مـــصـــر فـــلا ورائـي
تخـب بــي الركـــاب ولا أمـــامــي
طردت من مـــصـــر أيديهـــا بأرجلهـــا
حــتى مــرقـن بهـا مـن جـوش والعـلم
لا فـــاتك آخــر في مـــصــر نقـــصــده
ولا لــه خــلــف في النـاس كـلــــهــم
بمـصـــــر مـلـوك لـهـــم مـــالــه
ولـكـنــــهــم مــا لـــهـم همـــــه
حــصلت بأرض مــصــر على عــبــيـد
كـــأن الحـــر بينــهــم يتـــيــم
كــــيف لا تـأمـن العــراق ومـــصــر
وســـرايـاك دونــهـــا والخـــيــــول

* المقطم - جبل مطل على القاهرة

وسمنا بها البيداء حتى تغمّرت

من النيل واستذرت بظل المقطم

* منبج - مدينة شمالي شرق حلب

ألا أيها القيل المقيم بمنبج

وهمّته فوق السماكين تَوضِعُ

قيل بمنبج مثواه ونائله

في الأفق يسأل ممن غيره سألا

ما منبج مذ غبت إلا مقلة

سَهِدت ووجهك نومها والإثْمِدُ

فكأن أرجلها بتربة منبج

يطرحن أيديها بحصن الرّان

* ميا فارقين - مدينة في الأناضول اليوم دفن فيها سيف الدولة وأمه وإبنه وأخته (تسمى اليوم البستان) ؟

تجانف عن ذات اليمين كأنها

ترقُّ لميًّا فارقين وترحمُ

* ملاطية - مدينة في تركيا إلى الغرب من ديار بكر

وكرّت فمرّت في دماء ملطية

ملطية أم للبنين ثكول

* نـجـد - البيت الثالـث يعـني نـجد قـرية قريبة مـن الكـوفـة

بنـو قــتلـى أبيـك بأرض نجـد
ومـن أبقـى وابقـتـه الحـراب

تـركـنا مـن وراء العـيـس نجـدا
ونكبنـا السـمـاوة والعـراقـا

نـحن أدرى وقـد سـألنا بـنجـد
أطـويـل طـريـقـنا أم يطـول

ابن المـعـفّـر في نـجـد فـوارسـهـا
بسـيـفـه ولـه كـوفـان والحـرم

* نحـلـة - قـرية قـرب بعـلبـك

مـا مـقـامـي بأرض نـحـلة إلا
كـمـقـام المسـيـح بيـن اليـهـود

* نخـل - موقع في سيناء بـعـد هضبـة التيـه مباشـرة

فـمـرت بنخل وفي ركـبـهـا
عـن العـالميـن وعنـه غنـى

* النقـاب - مـدينـة اليـوم فـي جنـوب الأردن قـرب خـط سـكك الحـديد

وأمـسـت نحـيـرنـا بالنقـا
ب وادي المـيـاه ووادي القُـرى

* نِوبنـذجـان - مـوقـع قـرب شعـب بـوان فـي فارس

منـازل لـم يـزل منهـا خـيـال
يشـيـعـنـي إلـى النّوبـنـذجـان

* نـهيـا

وقـد نـزح الغـويـر فـلا غـويـر
ونِهيـا والبـيـضـة والجـفـار

* النـوب - جنـوب مصـر (النوبة)

يـدبر الملك من مـصـر إلى عـدن
إلـى العـراق فـأرض الروم فـالنـوب

* النيـل - النهـر

ورد إذا ورد البـحـيـرة شـاربـاً
ورد الفـرات زئيـره والنيـلا
وسـمنا بهـا البـيـداء حـتى تغـمّـرت
من النيـل واسـتـذرت بظـل المقـطم
من عـبـيـدي إن عـشت لي ألف كـافـو
ر ولـي مـن نـداك ريـف ونـيـل

* الهـنـد

سـرى السـيف مما تطبع الهند صـاحـبي
إلـى السـيـف مما يطـبع الله لا الهـنـد

وتنسب أفعال السيوف نفوسها
إليه وينسبن السيوف إلى الهند
إذا الهند سوت بين سيفي كريهة
فسيفك في كف تزيل التساويا
أتحسب بيض الهند أصلك اصلها
وأنك منها؟ ساء ما تتوهم
تهاب سيوف الهند وهي حدائد
فكيف إذا كانت نزارية عربا
قد زرته وسيوف الهند مغمدة
وقد نظرت إليه والسيوف دم
وأن رماح الخط عنه قصيرة
وأن حديد الهند عنه كليل

* هنريط - واللقان ممرات إلى ديار الروم على الفرات الأعلى
عصفن بهم يوم اللُّقان وَسُقْنهمْ
بهنريط حتى ابيض بالسبي آمدُ
وفي بطن هنريط وسمنين للظبي
وصم القنا ممن أبدن بديل
وأصبحت بقرى هنريط جائلة
ترعى الظِّبى في خصيب نبته اللِّممُ

* واسط - مدينة أثرية بناها الحجاج على الطريق من بغداد إلى البصرة وإلى الأهواز

يغـــيـــر بهـــا بين اللقــان وواسط
وبـركـــزهـــا بيـــن الفــرات وجِلـــق

* يذبـــل - جبــل في نجـد ذكـره امرؤ القيس
كـــأنهـــا من سـرعـــة في الشـــمأل
كـــأنـــهـــا مـــن ثـقــل فـــي يذبـــل

* اليـمـن
عـند الهـــمـام أبي المسك الذي غـرقت
في جـوده مُـــضَـرُ الحـــمـراءِ واليَـــمَـــنُ

المتنبي والنجوم

لم يترك المتنبي بصماته على عواصم وحواضر الشرق العربي الإسلامي من شيراز إلى ديار بكر والشام ومصر والجزيرة العربية والعراق فحسب ، بل رفع رأسه إلى السماء أيضا ، فتحدث عن الكواكب والنجوم حديث العالم العارف بمواقعها وأساطيرها والفلكي العليم بأوقاتها . وإكمالا للبحث أسجل في هذا الباب جل ما قاله المتنبي مع بعض الشروح المناسبة .

*** وأنني غير محص فضل والده**

ونائل دون نيلي وصفه زحلا

الكوكب زحل هو أبعد كواكب النظام الشمسي المعروفة آنذاك عن الأرض . والمتنبي هنا يبالغ بالقول بأن الوصول إلى زحل أقرب وأسهل من مدح الأمير .

*** ألا أيها القيل المقيم بمنبج**

وهمته فوق السماكين تَوِضعُ

يوجد في السماء نيّران متقاربان يعرفان بالسماكين ، الشمالي منهما يسمى الرامح والجنوبي موجود في برج العذراء (السنبلة) ويسمى السماك الأعزل يمران في السمت في البلاد العربية (أنظر الخارطة) . وسَمَك تعني بَنيْ ورفع ، أي أن همته تصل إلى قمة السماء .

*** ويجهل أني مالك الأرض معسر**

وأني على ظهر السماكين راجل

قال المتنبي هذا البيت في صباه أيام الفتوة والشباب والاعتداد يخاطب

الذين يجهلونه ولا يعرفون قدره . فهو حتى ولو ملك الأرض فإنه يبدو معدما معسرا محتاجا بسبب همته . وإذا ركب السماكين فكأنه يبدو راجلا لم يركب أي شيء ويعني إرتفاعه على كل شيء .

*** متى ما يشر نحو السماء بوجهه**
تخر له الشعرى وينخسف البدر

الشعرى العبور ألمع نجوم السماء . قاطبة وتقع في برج «الكلب» . يقول إن نور وجه الممدوح أتم نورا من الشعرى . فلو أشار بوجهه إلى السماء لسقطت الشعرى خجلاً وإنكسف القمر من ضوء وجهه .

*** الفرقد إبنك والمصباح صاحبه**
وانت بدر الدجى والمجلس الفلك

الفرقدان نيران لا يغيبان في الدب الأصغر لقربهما من نجمة القطب . فالمجلس هو الفلك الدوار والفرقدان أحدهما ابنك والثاني هو المصباح والممدوح هو بدر الدجى .

*** وجعلت حظى منك في الكرى**
وتركتني للفرقدين جليسا

الفرقدان يدوران حول نجمة القطب لا يغربان عنها . يقول المتنبي للممدوح إنني لم أنل منك إلا ما نلت من النوم (لا شيء) . ولذا فإنني سهرت طول الليل ولم أجد جليساً غير الفرقدين لأنهما لا يغيبان فأسهر معهما .

*** وإنّ من العجائب أن تراني**
فتعدل بي أقل من الهباء

وتنكر موتهم وأنا سهيل
طلعت بموت أولاد الزناء

لا يستقيم المعنى إلا بذكر البيتين فهو يخاطب الممدوح عمّا يراه فيعادل به الهباء لا قيمة له . وعندما يرى أعداءه فإنه يراهم أحياء أمامه وينكر موتهم ، على الرغم من أن المتنبي هو كنجم سهيل . والعرب تعتقد من اعتقادات عديدة عن نجم سهيل ، بأنه إذا طلع جلب معه الفساد والموت على الأرض . «أولاد الزناء» ليس المعنى المبتذل للكلمة بل تعني الذين لا أصل لهم .

* كأن بنات نعش في دجاها
خرائد سافرات في حداد

هذه صورة الدب الأكبر في السماء وقد تصورها العرب نعش ميت (المستطيل) تتبعه ثلاث فتيات جميلات (خرائد) ولكنهن قد أسفرن عن وجههن . (أنظر الصورة) .

* أنا صخرة الوادي إذا ما زوحمت
وإذا نطقت فإنني الجوزاء

هذا من تواضع المتنبي!! فهو مثل صخرة الوادي في الثبات لا يقدر السيل أن يجرفها . أما إذا نطق فإنه مثل الجبّار (برج الجبّار) والجبّار مثل السماك يمر في الأوج على جزيرة العرب فلا ينافسه أو يناله أحد . وكذلك المتنبي عندما يتحدث أو يقول الشعر . أليس هو القائل وماا لدهر إلا من رواة قصائدي !!

* وقالوا هل يبلغك الثريا
فقلت نعم إذا شئت استفالا

الثريا من أجمل المجموعات العنقودية في الكون تقع على ظهر الثور وتمر أيضا في أوج السماء . يسألون المتنبي هل سوف يوصلك بدر بن عمار (الممدوح) إلى الثريا أن أقلل وأنزل من مكاني . . . . لأنني فوق الثريا!

*** كأن المعاني في فصاحة لفظها**
نجوم الثريا أو خلائقك الزهر

كأن المعاني في جمالها وفصاحتها مثل نجوم الثريا أو مثل أخلاقك المشرقة المتفتحة الجميلة . لاحظ أن المتنبي لا يقول إن صفات الممدوح وكرمه وأخلاقه جميلة زاهرة مثل الثريا . لا! يقول إن شعره مثل الثريا التي يقرب منها أخلاق الممدوح . يقول ذلك ثم يشتكي من أنه لايطيب له عيش مع ممدوح!! .

*** أحبك يا شمس الزمان وبدره**
وأن لامني فيك السهى والفراقد

السهى نجمة صغيرة ملتصقة بالنجمة الوسطى من بنات نعش ويختبر العرب قوة النظر برؤيتها . والممدوح هو الشمس ضياء والبدر نوراً والسهى والفرقدان مثل سائر البشر يحسدون ولا يضيئون مثل الشمس والقمر .

*** ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي**
أنا الثريا وذان الشيب والهرم

تماماً كما يبتعد المشيب والهرم عن الثريا الخالدة الأزلية التي لا تفني كذلك يبتعد العيب والنقص عن شرف المتنبي .

*** خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به**
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

لا يستقيم المعنى إلا بذكر ما قبله . يقول لسيف الدولة بأنه لا يحتاج عندما يمدحه أن يمدح أجداده البعيدين . إن صفاته وهي قريبة ساطعة مثل البدر فلا حاجة تدعو إلى ذكر أجداده الأوائل البعيدين بعد زحل . يروي في «طلعة الشمس» .

*** خميس بشرق الأرض والغرب زحفه**
وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمه
فما يفهم الحدّاث إلا التراجم

أوردت البيت الثاني ليكمل المعنى . الجوزاء أعلى البروج واسماها . والزمزمة هو أصلاً صوت الرعد ولكنه الكلام غير المفهوم ، الصادر من الأجناس والشعوب المختلفة التي جمعها الروم في هذا الجيش (الخميس) العرمرم الذي هزم أمام جيش سيف الدولة .

ملاحظة

حفظت هذا البيت من والدي قبل ٦٠ سنة عندما سمع بجيش هتلر في روسيا الذي ضم كل دول أوروبا . وسجله غازي القصيبي واصفا الجيش الذي تجمع لتحرير الكويت المؤلف من جميع الأجناس والشعوب .

*** وما سلّمت فوقك للثريا**
ولا سلّمت فوقك للسماء

ذم قوم بيت المتنبي في سيف الدولة :

*** ليت أنّا إذا إرتحلت لك الخيـ**
ـل وأنّا إذا نزلت الخيام

فقالوا أن الخيام فوق سيف الدولة وليست تحته فقال هذا البيت من عدة أبيات :

* وشُرَّبٌ أحْمَتِ الشِّعرى شكائمها
ووسّمتها على آنافها الحَكَمُ

الشزب الضامر من الخيل والشكيمة الحديدة في فم الفرس ، الحكم سائر اللجام . يقول إن الشعرى (العبور) التي تشرق في عز الصيف جعلت حديد اللجام حاراً إلى درجة أنه كوى أنوف تلك الخيل . المتنبي يعلم بمواقع النجوم ومنازل القمر . الشعرى تسمى نجمة الكلبين وتشرق في شهر أغسطس .

* زحل على أن الكواكب قومه
لو كان منك لكان أكرم معشرا

زحل أشرف الكواكب وأعلاها . ولذا يسمونه شيخ الكواكب ، يقول لو كان من جماعتك وقومك لكان زحل والكواكب أشرف مما عليه الآن .

* فلو سرنا وفي تشرين خمس
رأوني قبل أن يروا السماكا

هذا البيت آخر قصائده بعد أن ترك شيراز إلى الكوفة . يقول إنه لو سار يوم ٥ تشيرين سوف يصل الكوفة قبل أن يرتفع السماك (منتصف تشيرين) في أيامه . العكبري يقول بأن شهر تشرين هو أول شهر من أشهر العجم . ونحن نعرف بأن تشرين هو من أشهر السنة العبرية . وأنهم إذا كبسوا شهراً واحداً كل ثلاث سنوات فإن الشهر العاشر يتأخر شهراً واحداً فعن أي تشيرين يتحدث المتنبي؟ .

يرتفع نجم السماك الأعزل هذه الأيام وهو من منازل القمر في الأفق الشرقي

في أواخر أكتوبر (يبدو فوق الشعاع في الصباح) ولكن مضى على المتنبي ١٠٠٠ عام ومنازل القمر تتأخر يوماً واحداً كل ٦٦ عاماً بسبب ظاهرة إقبال البروج (التأخير ١٤ يوماً) . كما أن غريغوري الخامس حذف من التقويم ١٠ أيام من شهر أكتوبر (تشيرين) في القرن السادس عشر كما هو معروف ولاشك بأن الموضوع يحتاج إلى دراسة أعمق « . . . هذا أطلس مبسط لرحلات المتنبي ولكنه ليس في الفلك وعلم التقويم» .

الدب الأكبر

١- النعش

٢- بنات نعش

٣- السها

الدب الأصغر

١- القطب

٢- الفرقدان

برج الراعي (الرامح)

١- السماك الرامح

برج السنبلة

١- العوا

٢- الغفر

٣- السماك الإعزل

الفهرست

فهرست المحتويات